نشر مكتبة الغزالى
توزيع مكتبة دار الفتح

موقف الإسلاميين
من قضية فلسطين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

موقف الإسلاميين من قضية فلسطين

كامل إسماعيل الشريف — عبد المنعم عبد الرؤوف

دكتور مصطفى السباعي — محمد محمود الصواف

محسن مخمد صالح — عونى جدوع العبيدى

عبد المعز عبد الستار — عمر بهاء الدين الأميرى

محمود عبد الحليم — دكتور عبد اللّه عزام

جمع وإعداد

محمد الحسن

نشر مكتبة الغزالى

توزيع مكتبة دار الفتح

أيدي عصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ يرجع إلى ارتباط معظم الأنظمة العربية آنذاك بمخططات الدول الاستعمارية التي قررت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والتي لم تسمح للطاقات المسلمة المخلصة أن تأخذ دورها في التحرير، ففرضت عليها الابتعاد عن المعركة بالقوة. وزجت خيرة المجاهدين في معتقلات التعذيب جزاء عدم انصياعهم لأوامر أسيادهم من أعداء هذه الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها.

ولا زالت هذه الأمة الحية عازمة على غسل عار الهزيمة ولا زالت تتمتع بإمكانيات ضخمة تمكنها من استرداد الأرض السليبة ولا زالت تنتظر ساعة الفرج ووحدة الأمة ليتصدى من بيدهم زمام المبادرة لقيادة الجماهير المتشوقة للتضحية والفداء، لرد الديار والتخلص من العار ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ومع علم الإخوان بالمؤامرات الدولية وخضوع أولئك الحكام للضغوط الأجنبية إلا أنهم لم يتخلوا عن واجبهم فقاموا بدورهم في توعية المسلمين وتدريبهم ودخولهم المعركة بأمانة وإخلاص شهد بيطولتهم الأعداء قبل الأصدقاء والتحق بهم المجاهدون من كافة الأقطار لثقتهم بإخلاصهم وصدق جهادهم لذلك ضمت معسكراتهم الكثيرين من الإسلامين من غير الإخوان وتعاونوا بدورهم مع الجامعة العربية وجيش الإنقاذ والهيئة العربية العليا فأبلوا بلاء حسناً في القتال وقاموا بدور مشرف في التدريب والتسليح والتوجيه المعنوي والإعداد لمعركة المصير.

ولقد كثرت الكتابات في هذا الموضوع وكم كنت أتمنى أن تقوم جهة رسمية بجمع ما كتب وتنقيته وإخراجه من جديد غير أن شيئاً من هذا لم يحدث فما كان مني إلا أن سارعت لسد هذه الثغرة فجمعت كل ما نشر عن جهاد الإسلاميين في حرب فلسطين ودورهم في كافة الأقطار

موقف الإسلاميين من قضية فلسطين

كامل إسماعيل الشريف — عبد المنعم عبد الرؤوف
دكتور مصطفى السباعى — محمد محمود الصواف
محسن محمد صالح — عونى جدوع العبيدى
عبد المعز عبد الستار — عمر بهاء الدين الأميرى
محمود عبد الحليم — دكتور عبد الله عزام

جمع وإعداد
محمد الحسن

نشر مكتبة الغزالى
توزيع مكتبة دار الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين وقائد المجاهدين والهادي إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وبعد. . .

فإن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية تهم كل عربيٍ يشعر بانتمائه لهذه الأمة العربية الكريمة، وقضية كل مسلم ينبض في قلبه الإيمان الصادق وتجيش في نفسه عزة الإسلام العظيم، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. في فلسطين أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الإسلام ومعراجه. فيها نشأ أنبياء الله موسى وعيسى عليهما السلام، فهي مهبط الرسالات وملتقى الحضارات وهي جزء من الوطن العربي الكبير وقلب الوطن الإسلامي الشاسع يتوجب على كل عربي ومسلم العمل على تحريرها، والدفاع عنها، والذود عن حياضها، لذا فليس غريباً أن يوليها المسلمون اهتمامهم ويعتبرها الإخوان المسلمون قضيتهم يحشدون لتحريرها طاقاتهم متعاونين مع المخلصين لهذه القضية الكبرى حاكمين ومحكومين ومنظمات عربية ودولية أداء للأمانة وقياماً بالواجب لا يطلبون الأجر إلا من الله تعالى وحده دون سواه.

لم يعد سراً أن إخفاق سبعة جيوش عربية باسترداد فلسطين من

أيدي عصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ يرجع إلى ارتباط معظم الأنظمة العربية آنذاك بمخططات الدول الاستعمارية التي قررت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والتي لم تسمح للطاقات المسلمة المخلصة أن تأخذ دورها في التحرير، ففرضت عليها الابتعاد عن المعركة بالقوة. وزجت خيرة المجاهدين في معتقلات التعذيب جزاء عدم انصياعهم لأوامر أسيادهم من أعداء هذه الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها.

ولا زالت هذه الأمة الحية عازمة على غسل عار الهزيمة ولا زالت تتمتع بإمكانيات ضخمة تمكنها من استرداد الأرض السليبة ولا زالت تنتظر ساعة الفرج ووحدة الأمة ليتصدى من بيدهم زمام المبادرة لقيادة الجماهير المتشوقة للتضحية والفداء، لرد الديار والتخلص من العار ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ومع علم الإخوان بالمؤامرات الدولية وخضوع أولئك الحكام للضغوط الأجنبية إلا أنهم لم يتخلوا عن واجبهم فقاموا بدورهم في توعية المسلمين وتدريبهم ودخولهم المعركة بأمانة وإخلاص شهد ببطولتهم الأعداء قبل الأصدقاء والتحق بهم المجاهدون من كافة الأقطار لثقتهم بإخلاصهم وصدق جهادهم لذلك ضمت معسكراتهم الكثيرين من الإسلاميين من غير الإخوان وتعاونوا بدورهم مع الجامعة العربية وجيش الإنقاذ والهيئة العربية العليا فأبلوا بلاء حسناً في القتال وقاموا بدور مشرف في التدريب والتسليح والتوجيه المعنوي والإعداد لمعركة المصير.

ولقد كثرت الكتابات في هذا الموضوع وكم كنت أتمنى أن تقوم جهة رسمية بجمع ما كتب وتنقيته وإخراجه من جديد غير أن شيئاً من هذا لم يحدث فما كان مني إلا أن سارعت لسد هذه الثغرة فجمعت كل ما نشر عن جهاد الإسلاميين في حرب فلسطين ودورهم في كافة الأقطار

العربية وأبرزت دور كل الجماعة في هذا السبيل ففي لقاء مع الأستاذ الأميري كتبت خلاصة دور الإخوان السوريين الدبلوماسي ومع الشيخ عبد المعز عبد الستار كتبت خلاصة دور الإخوان الفلسطينيين في هذا الشأن، أنشره لأول مرة لأكمل الحلقات المفقودة وأسجل للتاريخ الدور الفعال للإسلاميين في معركة فلسطين ولأبين أثر الإيمان في تعبئة الطاقات والإستعداد لمعركة التحرير ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ لأن فلسطين لا يحررها الشباب المائع الماجن ولا الشباب المنحرف الفكر إنما يحررها المؤمنون الصادقون فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

محمد الحسن

دور الإخوان المسلمين المصريين التعبوي والسياسي في خدمة القضية الفلسطينية

بدأ اهتمام الإخوان بفلسطين منذ أرسل حسن البنا وفداً إخوانياً من الأستاذين عبد الرحمن البنا الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم برفقة الزعيم التونسي الثعالبي وذلك بتاريخ الرابع من جمادى الأولى عام ١٣٣٥ حيث غادر الوفد القاهرة إلى القدس وهناك قابلوا سماحة المفتي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وتبادلوا وجهات النظر في القضية الفلسطينية وعرضا عليه تعاون الجماعة بهذا الصدد فرحب سماحته بهذا التعاون ورد لهما الزيارة وزودهما بكتاب توصية لأعوانه في المناطق التي سيزورونها وخطبا في المسجد الأقصى وقابلا زعماء الحركة الإسلامية في الأماكن التي زاراها، ويؤرخ ميتشل بداية إهتمام الإخوان بالقضية الفلسطينية في كتابه (الإخوان المسلمون) يوم زار عبد الرحمن البنا المتحدث الرسمي باسم الإخوان في القاهرة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني عام ١٩٣٥ في فرنسا مبيناً له استعداد الجماعة للمساهمة في تحرير فلسطين وتأكد هذا الاهتمام حين خشي الإخوان على حياة الحاج أمين الحسيني من أن تسلمه فرنسا التي منحته حق اللجوء السياسي، إلى انكلترا حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين والتي أصدرت حكماً عليه بالإعدام. وبلغوا مخاوفهم إلى أمين سر الشيخ أمين الحسيني الأستاذ علي رشدي وطلبوا منه إبلاغ سيادة المفتي وجهة نظرهم. وأبدوا استعدادهم لنزوله ضيفاً

عليهم في القاهرة مع تحملهم مهمة حراسته فوافق الحاج أمين نتيجة ثقته بهم غير أن الإخوان استطاعوا أن يقنعوا السلطة المصرية آنذاك بقبول مفتي فلسطين لاجئاً سياسياً في مصر. وحضر الحاج أمين إلى مصر سراً بحراسة الحكومة المصرية وضيافتها. يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ، ١/٨٨) منذ حملتني قدماي إلى المركز العام للإخوان المسلمين في شارع الناصرية لاحظت من المرشد العام ومن القلة القليلة من الإخوان بهذا المركز توجيه اهتمام خاص إلى قضية فلسطين وقرأت في مجلتهم الكثير عن فلسطين كما وجدت بالمركز العام مجلات واردة إليه من فلسطين وسورية بها أخبار فلسطين فهمت مما قرأت أن الإنكليز يقومون بحملة مدبرة للقضاء على الكيان الإسلامي في فلسطين وتمكين اليهود من الإستيلاء عليها. ثم رأيت مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ومعه مساعده الشيخ صبري عابدين ومجموعة من قادة فلسطين يحضرون إلى المركز العام ويتبادلون مع المرشد العام ومع الإخوان الطلبة الكلمات الملتهبة إلى أن يقول حين دس الإخوان صحفياً كان عضواً بالجماعة إلى رئيس الوزراء سأله عما سيفعله إزاء تصرفات الإنكليز الظالمة في فلسطين أجابه: إنني رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين (مما يؤكد أن الإخوان كانوا الجهة الوحيدة المهتمة بقضية فلسطين) وفهمت بعد ذلك أن الإخوان أخذوا على عاتقهم النهوض بمهمة محددة هي أن يقوموا بجمع التبرعات لمجاهدي فلسطين فكان الأستاذ المرشد في كل جمعة يوزعنا على عدة مساجد في القاهرة يخطب أحدنا بعد الصلاة يشرح ما يقترفه الإنكليز من مظالم في فلسطين ويبين أن هدفهم تسليم فلسطين والمسجد الأقصى لليهود بينما يجمع الآخر التبرعات في صندوق) وبهذا يتحقق هدف توعية المسلمين إلى المخاطر التي تحيط بفلسطين ويتحقق هدف الدعم المادي للمجاهدين الفلسطينيين.

حين انفجرت الثورة الكبرى في فلسطين (١٩٣١ - ١٩٣٩) وأعلن الإضراب العام فوجىء الإنكليز الذين كانوا يسعون لعزل الشعب المصري عن كل ما يمت إلى العروبة والإسلام بصلة، بمساندة الإخوان المسلمين لهذه الثورة حيث دعاهم مرشدهم حسن البنا في آذار ١٩٣٦ لبحث خطة تحركهم لدعم القضية الفلسطينية فشكلوا لجنة مركزية برئاسته لمتابعة دعم الثورة الكبرى ومساعدتها.

قام الإخوان بحملات توعية لشرح القضية الفلسطينية ودور الإنكليز في التآمر عليها وفوجىء المحاضرون بمن يسألهم من المثقفين: وأين تقع فلسطين؟ كما ألفوا لجاناً لجمع التبرعات والمؤن ودعوا إلى مشروع (قرش فلسطين) كما ألفوا لجاناً سياسية لتوزيع المنشورات وإرسال برقيات الاحتجاج والاتصال بكبار الشخصيات لمساندة عرب فلسطين مما نبه الإنكليز إلى خطر الإخوان فأوعزوا إلى الحكومة المصرية لرصد نشاطات الإخوان. وفي عام ١٩٣٨ داهمت قوات الأمن المركز العام للجماعة فعثرت على ٧٥٠ نسخة من كتاب النار والدمار في فلسطين والذي أصدرته اللجنة العربية العليا وفيه تعدد ألوان العذاب الذي تعرض له مجاهدو فلسطين بعد أن وزع الإخوان منه عشرة آلاف نسخة في كافة أنحاء مصر فصادر رجال الأمن المتبقي ولما سأل قائد الحملة عن صاحب الكتاب أجابه المرشد العام حسن البنا أنا أتحمل المسؤولية ليفوت على رجال الأمن غرضهم فأوقفوه في السجن ورفع التحقيق إلى السفير البريطاني فخشي أن يكشف المرشد العام مظالمهم وإنحيازهم لليهود أمام المحكمة إن هم أحالوه إلى القضاء فتتحدث بها الصحف ويصبح للبنا شعبية قوية لذا امروا بحفظ التحقيق وإطلاق سراح حسن البنا (عن أحداث صنعت التاريخ ٣/١٧٦) وقد بدأت اللجنة المركزية الإخوانية نشاطها بتوجيه نداء إلى الشعب المصري والأمة الإسلامية لمناصرة فلسطين

المسلمة وأرسلت برقيات احتجاج إلى المندوب السامي البريطاني في كل من مصر وفلسطين تستنكر فيها المظالم التي توقعها السلطات البريطانية بشعب فلسطين كما أرسلت برقية إلى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني بتاريخ ١٨/٣/١٩٣٦ تؤكد فيها وقوف الإخوان المسلمين إلى جانب إخوانهم أهل فلسطين وأذاعت بياناً إلى عموم الإخوان تدعوهم فيه للمساهمة ببذل المال والمشاركة بجمع التبرعات (عن مذكرات الدعوة والداعية ٢٠٧).

وقد رد سيادة المفتي الحاج أمين الحسيني على برقية الإخوان وأمين سر اللجنة العربية العليا بالرسالتين التاليتين:

رسالة شكر من الحاج أمين الحسيني إلى جماعة الإخوان المسلمين ١٩٣٦ م[1]

من سماحة المفتي الأكبر السيد الأمين الحسيني إلى الإخوان المسلمين:

حضرات السادة الأفاضل رئيس وأعضاء جمعية الإخوان المسلمين المحترمين ـ القاهرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد كتب إلينا عدد من الأصدقاء في القاهرة عن الجهود المشكورة والأعمال المبرورة التي تقومون بها في سبيل هذه البلاد الإسلامية العربية المقدسة (فلسطين) التي تقوم بجهادها في سبيل حريتها واستقلالها لتراث الإسلام والعروبة الخالدة فيها. كما أننا اطلعنا في الصحف المصرية على كثير من تلك الجهود والأعمال المباركة التي تقومون بها بكل حمية ونشاط، فحق علينا أن

---

(١) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ٢١١.

نشكركم بما أنتم أهله ونقدر لكم شعوركم الفياض وحميتكم الإسلامية حق تقديرها، ونعلمكم أن الرأي العام العربي في فلسطين قد تلقى مقرراتكم الحكيمة ومساعيكم الحميدة بالشكر الجزيل والثناء الكثير، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكلل أعمالكم المباركة بالفوز والنجاح ويجزيكم الجزاء الأوفى على أفضالكم وشهامتكم.

ولسنا نشك في أن جهودكم المشكورة في سبيل نصرة هذه البلاد المقدسة ورفع الحيف والظلم عنها سيكون لها أثر فعال وسينتج عنها خير كثير بإذن الله، وثقوا أنكم بذلك تقدمون أعظم خدمة للمسلمين والعرب جميعاً الذين تهوي أفئدتهم إلى القبلة والمسجد الأقصى في هذه البلاد الصابرة المجاهدة التي تعاني ما تعـاني من الشدائد وتتحمل ما تتحمل من المكاره والخطوب في سبيل الاحتفاظ بتراث الإسلام الخالد في فلسطين.

فنكرر الشكر لحضراتكم جميعاً ونسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير والفلاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد أمين الحسيني
رئيس اللجنة العربية العليا

* * *

رسالة شكر من اللجنة العربية العليا إلى الإخوان المسلمين ١٩٣٦ م (١)

من السيد عوني بك عبد الهادي

السكرتير العام للجنة العربية العليا بالقدس

إلى الإخوان المسلمين:

وقد ورد عليها هذا الخطاب من السيد عوني عبد الهادي:

(١) عن مذكرات الدعوة، ص ٢١٠.

حضرة الأخ المفضال والوطني الغيور السيد حسن البنا حفظه الله
مرشد الإخوان المسلمين ـ مصر.

إن اللجنة العربية في فلسطين تشكر لحضرتكم هذه العواطف النبيلة التي تضمنت برقيتكم المؤرخة ١٨ مايو سنة ١٩٣٦ الإعراب عنها تجاه قضية فلسطين المجاهدة، وثقوا بأن الروح الطيبة التي أوحت بها برقيتكم قد زادت نفوسنا قوة وقلوبنا تصميماً على المضي إلى النهاية في جهادنا ضد الظلم والاستبداد، وقد كان لها أكبر وقع في نفوس الشعب العربي الفلسطيني الذي تيقن بأن إخوانه في مصر وغيرها لن يتخلفوا عن نصرته عند الحاجة.

وإني لأرجو أن تتقبلوا عظيم تقدير وشكر اللجنة العربية العليا لهذا العطف والإحساس الشريفين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمين السر العام

* * *

وعن نشاط الإخوان الصحفي في مصر تحدثنا الدكتورة عواطف عبد الرحمن في كتابها (مصر وفلسطين صفحة ٢٤١ ـ ٢٤٢) فتقول موضحة دور الصحف المصرية في دعم القضية الفلسطينية بما يلي:

(كما توجه صحيفة المصري نقداً قاسياً لموقف الحكومة المصرية التي اكتفت باتخاذ موقف الوسيط لحمل الحكومات العربية على قبول وجهة النظر البريطانية. وتعزو الصحيفة فشل مؤتمر لندن إلى موقف الحكومة المصرية منه. وتنتهز الصحيفة هذه الفرصة كي تعقد مقارنة بين موقف الحكومة المصرية التي كان يرأسها آنذاك محمد محمود باشا من

القضية الفلسطينية وذلك الموقف الذي اتخذته وزارة النحاس باشا الذي أقسم بالالتزام ومساندة القضية الفلسطينية. وقد أولت «المصري» اهتماماً كبيراً لموضوع الكتاب الأبيض وحرصت على نشر مقتطفات من الصحف البريطانية وردود فعل الساسة العرب والانجليز. كما فندت الكتاب الأبيض وعرضت المقترحات التي يتضمنها عرضاً نقدياً مفصلاً.

أما صحيفة (الإخوان المسلمون) لسان حال جماعة الإخوان المسلمين فقد اهتمت بنشر أخبار المعارك وتفاصيل سفر أفواج المتطوعين، بالإضافة إلى نشر قوائم التبرعات. وكانت تنشر أنباء المعارك ضمن الأبواب الخاصة بالدعوة الإسلامية. وكانت جريدة الإخوان المسلمين تدعو العرب في مصر وفلسطين إلى مواجهة الخصوم الدينيين، وتقصد بهم اليهود، بسلاح الإيمان بالحق. وكانت تركز على الأهمية الدينية لفلسطين وأن الفلسطينيين ليسوا إلا حرساً للمقدسات الإسلامية. وقد نشرت جريدة الإخوان المسلمين نداء من مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالقاهرة إلى شعب الجماعة بالقطر المصري والشعوب الإسلامية عامة أوضحت فيه قلقها بسبب الحوادث التي كانت تجري في فلسطين، وتهيب بالشعوب العربية مسلميها ومسيحييها أن يمدوا يد العون لفلسطين المجاهدة الباسلة. ثم تذكر أهم القرارات التي اتخذتها جماعة الإخوان المسلمين في هذا الصدد مثل تأليف لجنة مركزية من الإخوان لتلقي التبرعات وإرسال برقية احتجاج إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين..

وإرسال برقية تأييد ومساندة لقادة الثورة الفلسطينية. وتوالي جريدة الإخوان المسلمين نداءاتها لنصرة الشعب الفلسطيني مذكرة القراء بالدور البطولي الذي يقوم به أبناء فلسطين لدفع الشر عن إخوانهم الشرقيين، فضلاً عما يقومون به في حراسة المقدسات نيابة عن أربعمائة مليون

مسلم. وتوجه الصحيفة لومها إلى العالم الإسلامي في افتتاحية تخصصها للحديث عن اليوم الخامس عشر بعد المائة بمناسبة مرور مائة يوم على الإضراب الكبير في فلسطين. وتشير (الإخوان المسلمون) إلى تقصير العالم الإسلامي في مد يد العون إلى الشعب الفلسطيني وتحثهم على تعويض ما فات. وقد كانت هذه الإفتتاحية موقعة بإمضاء حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين. كذلك تواصل الصحيفة الإشادة ببطولة الثوار الفلسطينيين والتذكير بتضحياتهم والتنديد بالسياسة البريطانية في فلسطين وذلك في عدة افتتاحيات شغلت الصفحات الأولى من الصحيفة حتى نهاية عام ١٩٣٦.

أما بالنسبة لصحيفة مصر الفتاة فإنها لم تعاصر المرحلة الأولى من ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ولكن أتيحت لها فرصة التعبير عن اتجاهاتها في هذا الصدد بعد صدور تقرير اللجنة الملكية الذي تضمن مشروعاً لتقسيم فلسطين. وقد قامت صحيفة مصر الفتاة بنشر البيان الشهير عن القضية الفلسطينية الذي يتضمن معارضتها الحادة لمشروع التقسيم والمطالبة بضرورة مقاومته بكل السبل وذلك لعدد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد لخصتها الصحيفة وأبرزت من خلالها خطورة مشروع التقسيم على مصر ذاتها وليس فلسطين فقط.) انتهى.

* * *

وبمناسبة ذكرى وعد بلفور حرك الإخوان مظاهرات في كافة أنحاء مصر بتاريخ ١٧/١١/١٩٣٨ مما دفع السلطة إلى سجن مدبريها، ولم يثن ذلك الإخوان عن عزمهم فاستأنفوا نشاطهم الإعلامي فوزعوا منشورات تفضح مخططات الإنكليز ومظالمهم وتدعو إلى مقاطعة اليهود ودعم المجاهدين الفلسطينيين كما وزعوا منشورات تكشف أسماء الصحف التي

تناصر الصهيونية مما أزعج الاستعمار الإنكليزي فراحت تستعدي الحكومة المصرية على الإخوان وفي نفس العام دعا المرشد العام حسن البنا إلى مؤتمر عقد في المركز العام للإخوان بالعتبة حضرته شخصيات رسمية تحدث فيه فارس الخوري رئيس وزراء سورية وهو مسيحي منصف ووطني مخلص وشخصيات أخرى. انتهى هذا المؤتمر بتوصيات إلى الحكام العرب تدعوهم للتدخل من أجل انقاذ فلسطين وكان من نتائج هذا المؤتمر توافد كبار الشخصيات العربية الرسمية إلى مركز الإخوان منهم الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود نيابة عن والده والأمير أحمد بن يحيى حميد الدين إمام اليمن وكانت نتيجة هذا الإتصال والتشاور بينهم وبين الإخوان والحكومة المصرية الاتفاق على عقد مؤتمر برلماني دولي وجه الدعوة إليه لجنة برلمانية مصرية برئاسة محمد علي علوبة باشا المتعاطف مع القضية الفلسطينية وانعقد المؤتمر في سراي آل لطف الله بالقاهرة حضرته وفود شعبية من المغرب والهند والبوشناق اليوغسلاف واليمن والصين، كان من مقرراته الطلب من انكلترا والدول الكبرى تسوية القضية الفلسطينية بما يضمن حقوق أهل فلسطين واعتبار وعد بلفور باطلاً من أساسه ورفضوا تقسيم فلسطين وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين فوراً.

واهتمت بريطانيا بهذه المؤتمرات فعدلت عن سياستها القمعية تجاه فلسطين ودعت إلى مؤتمر في لندن عام ١٩٣٩ يضم العرب واليهود حضره الأميران فيصل بن عبد العزيز آل سعود والإمام أحمد بن يحيى حميد الدين واثنان من الإخوان المسلمين كمترجمين للاميرين أحدهما الأخ محمود أبو السعود (أحداث ١٧٧ ـ ١٨٢/٣).

ونتيجة لهذا المؤتمر أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الذي قررت فيه على الورق وضع حد لهجرة اليهود إلى فلسطين ومنعهم من شراء

أراضي عرب فلسطين وذلك لكي تمتص نقمة العرب وتكسب الرأي العام العالمي.

ولكن اليهود تخوفوا من الكتاب الأبيض فلجأوا إلى أمريكا التي اتفقت مع إنكلترا على تشكيل لجنة تحقيق انكليزية أمريكية لتنسف بواسطتها الكتاب الأبيض وقد كان، فقد طافت اللجنة في البلاد العربية تدعي الحياد والعدل. وفي آخر لقاءاتها في مصر عام ١٩٤٦ تحدث امامها السيد مراد البكري وعبد المجيد صالح باشا وصالح حرب باشا والدكتور منصور فهمي باشا والمرشد العام للإخوان حسن البنا الذي تولى الترجمة له وكيل الجماعة الأستاذ أحمد السكري.

وقد أشادت جريدة المصري آنذاك بكلمة المرشد العام التي اختتمها بطلب الإفراج عن الحاج أمين الحسيني الرجل الأول في القضية مع إخوانه المجاهدين والإستماع إلى أقوالهم كي يثبتوا بذلك حيادهم.

ولكن قرار اللجنة مع الأسف كان يقضي بالسماح لمئة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين مع الأدعاء بأن اللجنة تهدف إلى ضمان حقوق العرب المدنية والدينية.

ولكن ماذا ننتظر من لجنة هي الخصم والحكم. وقد صرح الرئيس الأمريكي ترومان في ذلك الوقت بأنه سعيد جداً بقرار اللجنة بالسماح لمئة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين في الحال (عن أحداث صنعت التاريخ ٤٠٩/ ٤١١/٣) وفي ١٩ اكتوبر ١٩٤٦ عقد الإخوان مؤتمراً في حيفا ضم ستين ألفاً من الإخوان وأنصارهم أعلنوا فيه مسؤولية بريطانيا عن جميع ما حدث في فلسطين وحذروها من مسؤولية استمرار سياستها الجائرة تجاه عرب فلسطين (قافلة الإخوان ص ٩).

مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ :

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية دعي مجلس الجامعة العربية

للإنعقاد في بلودان في شهر حزيران ودرس اقتراحاً بتشكيل لجنة موحدة تمثل شعب فلسطين وتنطق باسمه. ولم يغب عن فكر حسن البنا أن يرسل برقية للمؤتمرين يعلن فيها استعداد الإخوان للدفاع عن فلسطين بدمائهم وأموالهم، بعد ذلك تم تشكيل اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني وعضوية الدكتور حسين الخالدي وأحمد حلمي باشا وجمال الحسيني وإميل الغوري، قام سماحة المفتي بتأسيس مكتب لرئاسة الهيئة العربية العليا في القاهرة وافتتح مكتباً في القدس ودمشق وبيروت وبغداد وضم إلى أعضاء الهيئة خمسة أعضاء آخرين وبدأ بتنظيم العمل وتوزيع المسؤوليات على اللجان استعداداً للجهاد وكلف لجنة من الموثوقين لشراء السلاح وكان مصدره من مخلفات الحرب العالمية في صحراء مصر الغربية ومن تبرعات بعض الدول العربية والإسلامية وساهم الإخوان في جمع السلاح وإدخاله إلى فلسطين بإشراف يوسف طلعت ورشاد مهنا. أما السلاح الآخر الذي تجمعه الهيئة العليا فكان يشرف على تخزينه عبد القادر الحسيني في صوريف وبيرزيت يساعده في تهريبه إلى فلسطين رشاد مهنا والقائمقام أحمد سيف اليزل محافظ مرسي مطروح الذي أصبح خلفاً للشهيد أحمد عبد العزيز. وأسند سيادة المفتي قيادة المجاهدين إلى عبد القادر الحسيني وكون حرساً وطنياً في المدن والقرى وأنشأ منظمة الشباب الفلسطيني وأسند قيادتها للمجاهد الصاغ محمود لبيب أحد قادة الإخوان العسكريين. كما تسلل عدد من شباب الإخوان إلى شمالي فلسطين والتحقوا بثورة الشيخ عز الدين القسام وبعد الحرب العالمية الثانية أرسل الإخوان دعاتهم سعيد رمضان، عبد الرحمن البنا الساعاتي والشيخ عبد المعز عبد الستار، وعبد العزيز الأحمد لتعبئة القوى الإسلامية واستثارة روح الجهاد إستعداداً لمعركة المصير.

قضية فلسطين بعد إعلان التقسيم ودور الإخوان تجاهها:

أصدرت الأمم المتحدة قراراً بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية بدعم من الدول الكبرى إنكلترا وأمريكا وروسيا بموافقة ٢٥ دولة ومعارضة ١٣ دولة عربية ومسلمة وإمتناع ١٧ دولة عن التصويت. فوقع هذا القرار على العالمين العربي والإسلامي وقوع الصاعقة فتجاوبت أصداؤه في كل صقع وأعلنت الدول العربية وشعوبها رفض قرار التقسيم واجتمع رؤساء وزراء الدول العربية في القاهرة فاستفاد الإخوان من هذه المناسبة فدعوا إلى مظاهرة اهتزت لها جنبات القاهرة في ١٩٤٧/١٢/١٥ اشترك فيها الأزهر الشريف والجامعات وكافة فئات الشعب مسلمين ومسيحيين خطب فيها رياض بك الصلح رئيس وزراء لبنان وكان صديقاً للإخوان والأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود والشيخ محمود أبوالعيون وجميل مردم بك رئيس وزراء سوريا وصالح حرب باشا والقس متياس الأنطوني والسيد إسماعيل الأزهري رئيس وزراء السودان والمرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا ومما قاله: أيها الزعماء أنتم القادة وهؤلاء الجنود لقد وقفوا دماءهم للدفاع المقدس، إن هذا الشباب ليس هازلاً ولكنهم جادون عاهدوا الله وعاهدوا الوطن أن يموتوا من أجله. إنني أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل فلسطين. ثم قررت الدول العربية إعلان الحرب على الصهاينة لتحرير فلسطين العربية ولم يلتفتوا إلى النصائح والاقتراحات بترك حرب التحرير الفلسطينية للشعوب الإسلامية والاكتفاء من جانبهم بالدعم المادي والمعنوي. لقد أدرك حسن البنا رحمه الله تعالى ـ ببعد نظره ـ أن الدول العربية في ذلك الحين لا بد وأن تقع تحت ضغوط دولية تؤثر على استمرارها في معركة الشرف والكرامة فنقل رأيه إلى جامعة الدول العربية

بواسطة صديقيه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وعبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية. يطلب فيه إعلان نفير عام إسلامي لتحرير الأرض المقدسة يوكل فيه إلى المتطوعين القيام بحرب تحرير شعبية تدعمهما الدول العربية بالمال والسلاح. فلم يستجب لطلبه لضغوط أجنبية كما صرح بذلك كامل الشريف حيث قال: إنه من الإنصاف للواقع أن تقرر أن زعماء الدول العربية قد فكروا أخيراً بسلوك هذا الطريق طريق حرب العصابات وكلفوا الهيئة العربية العليا لاختيار عدد من الشباب من مختلف الجهات لتدريبهم وإعادتهم للإشراف على تنظيم المقاومة ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان فقد احتجت بريطانيا على هذا التصرف فانكمشت الدول العربية أمام هذا الاحتجاج فماتت الخطة في مهدها. ودخلت الدول العربية المعركة لتنتهي حيث بدأت، وأعلنوا عروبة المعركة لا إسلاميتها فرفضوا تطوع المجاهدين الباكستانيين المسلمين بحجة أن الدول العربية .بجيوشها السبعة كافية لتحرير الأرض المقدسة وحاولت الجامعة العربية من جانبها أن تعمل لتنظيم المقاومة فعينت الفريق العراقي طه باشا الهاشمي واللواء إسماعيل صفوت باشا ومعهم عدد كبير من الضباط ووضعوا تحت تصرفهم أموالاً كثيرة ومنحتهم سلطات واسعة وبدل أن يجمعوا الشباب الفلسطيني لتدريبهم أخذوا يجمعون المتطوعين من البلاد العربية ويغدقون عليهم بالأموال في الوقت الذي يضيقون فيه على المجاهدين الفلسطينيين. فقد طلب قائد مجاهدي القدس عبد القادر الحسيني أن يمدوه بالمال والسلاح فلم يستجب لطلبه وبعد جهود ووساطات أعطوه (٣٧٠ جنيهاً ليوزعها على ثلاثة آلاف مجاهد يعملون تحت قيادته فقدم تقريراً إلى جامعة الدول العربية في ١٩٤٨/٤/٦ يحملها فيه ضياع فلسطين، واستشهد بعدها بقليل في معركة القسطل سعيداً بلقاء ربه، وبالاتفاق بين فضيلة المرشد العام والأمين العام لجامعة الدول

العربية عبد الرحمن عزام باشا شكل الإسلاميون لجنة وادي النيل للعمل على جمع التبرعات وشراء الأسلحة وتدريب المجاهدين لإرسالهم إلى فلسطين وكان أبرز أعضائها صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين وعلوبة باشا وصالح أبو رقيق ممثلاً عن الإخوان.

حين أحس اليهود بخطر الإخوان وبدأت صحفهم الصهيونية تستعدي حكومة الإنتداب الإنكليزي على الإخوان وتنبه لخطورتهم. فقد كتبت الفتاة الصهيونية روث كاريف مقالاً في جريدة الصنداي عام ١٩٤٨ نقلته جريدة المصري المصرية جاء فيه: والآن أصبح الإخوان المسلمون ينادون بالاستعداد للمعركة الفاصلة التي توجه ضد التدخل المعادي للولايات المتحدة في شؤون الشرق الأوسط وأصبحوا يطلبون من كل مسلم ألا يتعاون مع الأمم المتحدة فقد حان الوقت للشعب الأمريكي أن يعرف أي حركة هذه وأي رجال يستترون وراء هذا الأسم الرومانتيكي الجذاب اسم الإخوان المسلمون. وختمت مقالها بقولها: وإذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة في وقت قريب فإن أوروبا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي إمبراطورية إسلامية فاشية تمتد من شمالي إفريقيا إلى الباكستان ومن تركيا إلى المحيط الهندي «عن الإخوان في حرب فلسطين ص ٣٢، ٣٣».

أرسل الإخوان عدداً من المدربين العسكريين سراً إلى فلسطين لتدريب المجاهدين الفلسطينيين بقيادة الضابط المتقاعد محمود لبيب الذي كلف بدوره بالسعي للتوفيق بين منظمتي الفتوة والنجادة الفلسطينيين وكلف الأخ يوسف طلعت بتهريب الأسلحة والذخيرة إلى داخل فلسطين. ولما تنبهت حكومة الإنتداب إلى نشاطهم أصدرت أمراً بتسفير الضابط محمود لبيب بعد أن تمكنت من التعرف إليه عام ١٩٤٧ .

طلب الإخوان من حكومة النقراشي السماح لفوج من مجاهديهم ليرابط في الجزء الشمالي من صحراء النقب فرفض طلبهم فطلبوا القيام برحلة علمية إلى سيناء ومن هناك تسلل أفرادها سراً إلى فلسطين وتبعهم آخرون بأساليب مختلفة وفي فبراير عام ١٩٤٨ بدأ المجاهدون المسلمون بمهاجمة المستعمرات بقيادة الضابط الأخ محمود لبيب الذي طلب إجازة للمشاركة في الجهاد المقدس وتبعه من زملائه الضباط كمال الدين حسين وصلاح سالم وبعد شهرين من القتال طلبت الحكومة المصرية من الإخوان سحب قواتهم من النقب فرفض المجاهدون هذا الطلب فشددت الحكومة المصرية الرقابة على الحدود لتضطرهم إلى الإنسحاب ولكنهم ثبتوا حتى دخل الجيش المصري فلسطين بشكل رسمي (عن الإخوان في حرب فلسطين ص ٤٠) ثم تلت هذه الفرقة فرق أخرى سجل أحداثها الأستاذ كامل إسماعيل الشريف في كتابه الإخوان في حرب فلسطين وعبد المنعم عبد الرؤوف في مذكراته.

ولم يقصر الإخوان في المجال الطبي فقد تطوع من أطباء الإخوان الدكتور أحمد الملط وحسان حتحوت وأحمد سعيد خطاب وقد أرسل بطلبهم عزمي باشا مدير الهلال الأحمر المصري وعرض عليهم مرتبات مغرية للعمل في فلسطين فقالوا: نحن لا نريد غير المأوى والطعام فقال: إننا خصصنا لكل طبيب عند استشهاده دية تسلم إلى أهله وقدرها ثلاثة آلاف جنيه فأوصى الدكتور الملط تسليمها للمرشد حسن البنا يتصرف بها لصالح الجماعة بعد استشهاده.

دور الإخوان المسلمين المصريين العسكري في حرب فلسطين

سفر متطوعي الإخوان المسلمين إلى فلسطين

من مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف ص ٤٧

في الفترة ما بين ٢٥/٤/١٩٤٨، ٥/٥/١٩٤٨ تم تدريب وتنظيم كتيبة[١] معظمها من متطوعي جماعة الإخوان المسلمين، في معسكر هاكستيب، بلغ عددهم ٢٨٠ مجاهداً وأشرف على تدريبهم المقدم أركان حرب حسين أحمد مصطفى والرائد أركان حرب على الخضاوي، والملازمون أحمد رأفت بسيوني وأبو بكر المنزلاوي وحسن زكي عليش وغيرهم.

وشمل التدريب الأسلحة الصغيرة، وطرق النسف والتدمير وضرب النار واختراق الضاحية والمصارعة اليابانية.

---

(١) ويقول الدكتور عبد الله عزام في كتابه حماس ص ٦٧ ما يلي:
وكانت الكتيبة الأولى مكونة من ثلاثمائة مجاهد قسمت إلى أربع سرايا:
السرية الأولى ثلاثة أرباعها من شباب مصر الفتاة (جماعة أحمد حسين) وربعها من الإخوان.
السرية الثانية ثلثاها من الإخوان وثلثها من مصر الفتاة.
السرية الثالثة كلها من الإخوان المسلمين.
السرية الرابعة من الإخوان، اختير لقيادتها أحمد عبد العزيز، ضابط وطني وعبد المنعم عبد الرؤوف من ضباط الإخوان يساعدهم الضابط معروف الحضري من الإخوان، وكمال الدين حسين من المحسوبين على الإخوان، وضابطين آخرين.

أما الضباط الإخوان المتطوعون المدنيون قادة السرايا فكانوا الأخ أحمد حجازي من إخوان القاهرة شعبة العباسية، والأخ أحمد لبيب الترجمان من إخوان القاهرة شعبة الخليفة، والأخ نظيف عبد الحميد من إخوان القاهرة شعبة السيدة زينب والأخ إسماعيل الفرماوي قائد فصيلة النسف والتدمير من شعبة العباسية والأخ محمد نور الدين قائد فصيلة البويز (مضاد للدبابات) والأخ مصطفى جاد من الإسكندرية من جماعة مصر الفتاة.

كما تم تدريب مجموعة على استعمال اللاسلكي وتليفونات الْبَذَرْ.

وفي منتصف شهر مارس ١٩٤٨ وصلت كتيبة من إخواننا الليبيين والمراكشيين والتونسيين والجزائريين إلى معسكر هاكستيب بعد تدريبهم في معسكر أقيم في مرسى مطروح في صحراء مصر الغربية، وبعد وصولها تولى قيادتها ضباط مصريون ممن تطوعوا للجهاد في فلسطين بعد أن قدموا طلبات للإحالة إلى الاستيداع وكنت واحداً منهم.

السفر من العريش إلى خان يونس:

حضر إلى العريش الإخوة الشيخ محمد فرغلي عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، (أعدمه جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤) والصاغ محمود لبيب قائد عام جوالة الإخوان المسلمين وعضو مكتب الإرشاد، والأستاذ محمود عبده قائد متطوعي الإخوان المسلمين في بير السبع..

ونصحوا المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز بأن تدخل الكتيبتان فلسطين عند الحدود عبر السكة الحديد مطفئين أنوار السيارات، حتى لا تشعر القوات الإنجليزية بهم فتعترض قوات المتطوعين، وتم تنفيذ العبور

بمجهود شاق وصمت تام عبر رفح المصرية الفلسطينية، ثم انطلقت قواتنا المحملة بالسيارات متجهة صوب خان يونس التي وصلناها ليلاً، واستقبلنا بحفاوة من هيئة التدريس والسيد الناظر الأستاذ سامي أبو شعبان، الذي قدم لنا كل مساعدة ممكنة.

ومكثنا يومين في جمع المعلومات عن العدو بمعاونة شيخ العرب مصطفى أبو مدين.

الإصطدام الأول وأول شهيد:

في ١٩٤٨/٥/٩ أبلغنا الأخ الفلسطيني المجاهد عبد الله أبو مدين عن نشاط مصفحات العدو الصهيوني حول خان يونس.

فأمر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز بتدميرها، وعيّن طاقماً مكوّناً من خمس بنادق بويز التي تحركت تحت قيادة الأخ فتحي الخولي من إخوان القاهرة شعبة القلعة، واصطدمت بالمصفحات اليهودية، وعند إطلاق نيرانها لم تحدث أي تأثير في مصفحات العدو، وأطلق العدو نيرانه فاستشهد القائد الأخ فتحي الخولي، وشيعت جنازته في خان يونس، وأبلغني أحد إخوان الشهيد الذين رافقوه أنه سمع الشهيد يتمتم بصوت مهموس: هبي يا رياح الجنة.

معركة كيفار ديروم أو خان يونس:

في فجر ١٩٤٨/٥/١٤ أراد المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز مهاجمة مستعمرة كيفار ديروم والتخلص منها نهائياً، فكلفني باستكشافها وتقديم تقرير بذلك.

وصف المستعمرة:

تقع كيفار ديروم على قطعة أرض زراعية مسطحة مساحتها ٢٠٠×

١٥٠ متراً مربعاً شرق سكة حديد رفح غزة، وكذلك شرق الطريق الزراعي الذي بينهما. والمسافة بين هذين الطريقين والمستعمرة حوالي ٨٠٠ ياردة، وتهدد هذه المستعمرة هذين الطريقين، وفي الشمال الشرقي للمستعمرة يوجد خزائن للمياه وثكنتان للجنود من ثلاثة طوابق.

وفي المستعمرة خنادق مواصلات تربط جميع أجزاء المستعمرة، وفي منتصف المسافة ما بين المستعمرة والسكة الحديد توجد غرفة ماكينة مياه، وفي جنوب المستعمرة يوجد واد طويل يربط غرب المستعمرة بشرقها، وتوصل إلى مستعمرات يهودية أخرى، ويمكن التقدم في هذا الوادي حتى الوصول لمسافة ١٠٠ ياردة من قوات العدو ومنع أي إمدادات تأتي للعدو من مستعمرات أخرى.

ويوجد حول المستعمرة ثلاثة أحزمة أسلاك شائكة.

واشتمل التقرير على خطتين ليختار إحداهما:

الخطة الأولى: حصار مستعمرة كيفار ديروم ومنع أي إمدادات تصل إليها أو تخرج منها حتى نضطرها للتسليم.

الخطة الثانية: اقتحام واحتلال مستعمرة كيفارديروم.

واختار المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز الخطة الثانية، ويصف كامل الشريف الهجوم فيقول:

هاجم الإخوان المستعمرة في وقت مبكر من صبيحة اليوم ونجحوا في المرور خلال حقول الألغام، عبر ممرات أعدوها طوال الأسبوع الذي سبق المعركة، واجتازوا عوائق الأسلاك الشائكة، كل هذا تم بدقة وسرعة دون أن ينتبه حراس المستعمرة لما يجري حولهم، ولم يفيقوا إلا على صوت انفجار هائل أطاح بأحد مراكز الحراسة، ثم بدأت المعركة داخل

الخنادق وعلى الأبراج و «الدشم».

وأبدى الإخوان في هذه المرحلة من ضروب البطولة والفدائية ما لا يمكن حصره وتصويره، واستطاع اليهود أن يسدوا الثغرات التي أحدثها المجاهدون في دفاعات المستعمرة، ثم حاصروا القوة الصغيرة التي نجحت في التسلل إلى أوكارهم ومضوا يحصدونها ببنادقهم ورشاشاتهم.

وهكذا فشلت المحاولة الأولى ومضى الإخوان يحملون شهداءهم وجرحاهم وكان عددهم يربو على العشرين، وانتهت المعركة على هذه الصورة المؤسفة ولكنها ظلت مثلاً فريداً للبطولة والتضحية.

ويستأنف عبد المنعم عبد الرؤوف حديثه (من كتابه ص ٥٠) ويحدد أسباب الفشل بما يلي:

١ ـ سوء التدريب على جميع المستويات.

٢ ـ ضعف تأثير مدفعيتنا الهاوتزر والهاونات والمدافع ٢ رطل على دشم ومدرعات العدو الإسرائيلي.

٣ ـ تفوق العدو الإسرائيلي على قواتنا في حرب العصابات، وتمسكنا بالعمليات الحربية النظامية.

وعندما مرت قوات الجيش المصري على الطريق الزراعي القريب من مستعمرة كيفار ديروم صبت عليها فصيلة الهاون ٣ رطل بقيادة محمد علي عبد الكريم نيرانا مركزة بأمر من قائد كتيبة المقدمة العقيد أركان حرب سيد طه (الضبع الأسود)؛ ولكن المستعمرة لم تستسلم لصلابة دشم العدو.

وبنظرة فاحصة لضباط كتيبة المتطوعين يتضح أن أغلبهم من أسلحة معاونة وليس منهم من درس كطالب بمدرسة المشاة حيث تلقى أحدث

أساليب الحرب العالمية الثانية، كالإعداد لمهاجمة وتدمير الدشم الحصينة وقتال المنازل، وتطهير القرى والتسلل ليلاً ونهاراً.

أصدر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز أمراً بسحب وإنقاذ المصابين حول مواقع العدو، ونقل جثث الشهداء، فتحركت بفصيلتين بقيادة الملازم أول معروف الحضري، والأخ حسن الجمل قائد جماعة الهاون وهو من متطوعي الإخوان المسلمين ومن إخوان القاهرة شعبة منيل الروضة، واستطعنا بتوفيق الله وعونه سحب عدد كبير من المصابين وعدد قليل من الشهداء، وكان الطبيب المعالج والمشرف على تضميد جراح المصابين النقيب الجراح الأخ الطبيب محمد حسين غراب، رحمه الله، الذي أنشأ نقطة إسعاف في أول الحور تحت سقف السكة الحديد.

لم يتم الاستيلاء على مستعمرة كيفار ديروم، ولكن تم سحب جميع المصابين وكان من بينهم الملازم أول معروف أحمد الحضري، الذي أصيب بعدة طلقات نارية في رقبته وكتفيه من الأمام، كما أصيب الملازم أول كمال الدين حسين قائد مدفعية الهاوتزر من أثر دانة فاسدة على بعد ياردة، وتم ترحيل الضابطين، وباقي المصابين من الإخوان المسلمين إلى مستشفى غزة.

وبعد أسبوعين عاد إلينا الملازم كمال الدين حسين لاستئناف القتال، أما الضابط معروف أحمد الحضري فقد تم ترحيله إلى القاهرة حيث استغرق علاج جراحه حوالي شهرين عاد بعدها للقتال مع المتطوعين الفدائيين في بيت لحم.

وفي أثناء وجودنا في معسكر النصيرات قرر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز تنفيذ الخطة الأولى التي سبق أن عرضتها عليه، وهي عملية حصار المستعمرة (كيفارديروم) ومنع وصول أي إمدادات إليها.

وأثناء حصارنا للمستعمرة شوهد شخص يخرج من شمال المستعمرة مرتدياً ملابس بدوية، وبالقبض عليه واستجوابه اتضح أنه يجيد اللغة العربية ويشبه اليهود اليمنيين، فجيء له بجهاز لاسلكي، والتقط لقواتنا إشارة فهمنا منها أن نجدة ستصل إلى المستعمرة حوالي الساعة الحادية والعشرين صباح اليوم التالي، فأمر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز بالاستيلاء على القافلة، فتحركت مجموعتان من الإخوان المسلمين ومدفعان ٢ رطل، بقيادة الملازم أول حسن فهمي عبد المجيد، الذي صوب قذيفتين على عجلتي الونش الأمامي فتعطل الونش وتعطلت القافلة، وقفز جميع الراكبين اليهود محاولين الفرار إلى المستعمرة ولكن قوبلوا بنيران الحامية وأبيدوا عن آخرهم، وتم سحب جميع العربات المصفحة والونش إلى معسكر النصيرات ومن هذا المعسكر تحركنا إلى معسكر البريج بغزة، وهناك تم توزيع الفدائيين إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول بقيادة المقدم أركان حرب محمد زكريا الورداني ومعه النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف، فاختار المقدم أركان حرب محمد زكريا الورداني موقع القيادة لنفسه في العوجة وأرسلني لاحتلال العصلوج، واستخدامها قاعدة للقيام بعمليات فدائية ضد مستعمرات العدو وطرق تموينه، وكان عدد قواتي في العصلوج ٧٤ متطوعاً منهم ٢٠ جزائرياً و ١٩ ليبيا والباقي من متطوعي الإخوان المسلمين.

وكان من بين هذا العدد طباخان وخبازان وسائقان، ولم يكن في هذا العدد أي ضابط مسؤول آخر، ولم يكن لدينا أي مدفع مضاد للدبابات والمصفحات والدشم الحصينة.

أما الاتجاه الثاني فكان بقيادة المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز ومعه جميع ضباط الجيش المتطوعين وهم ملازم أول كمال الدين حسين

وملازم أول خالد فوزي والإثنان من مدفعية الهاوتزر والملازم أول حسن فهمي عبد المجيد والملازم أول حمدي واصف للشؤون الإدارية، ومصطفى كمال صدقي للمخابرات.

ومن ضباط متطوعي الإخوان المسلمين الأخ حسين أحمد حجازي والأخ أحمد لبيب الترجمان، والأخ قطني عبد الحميد والأخ محمد كمال عامر والأخ مصطفى جاد، وقد تحركوا جميعاً إلى بير السبع.

وهناك عهد إلى المجاهد الكبير الأستاذ محمود عبده قيادة الإخوان، والقيام بأعمال حرب عصابات ضد العدو في منطقة بير السبع وما حولها، وواصل المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز السير إلى بيت لحم ولحقه معروف الحضري وكانت معه جميع مدافع الهاوتزر وعددها أربعة، وجميع المدافع المضادة للدبابات وتمركزوا جميعاً هناك.

ويعلق السيد كامل الشريف على هذه المعركة فيقول (عن كتابه ص ٥٩).

وظل الإخوان طوال فترة الحرب يتذاكرون المثل العليا التي سجلها المجاهدون فيها والتي أعادت للأذهان صوراً حية من جهاد الصدر الأول، فهذا أحدهم وهو المجاهد «محمد سلطان» من مجاهدي الشرقية، يزحف على بطنه حاملاً لغماً هائلاً وهدفه أحد مراكز الحراسة في المستعمرة يتنبه إليه الحراس وهو على قيد خطوات من هدفه، فيطلقون عليه رصاصات تصيبه في ذراعه، وتعجزه عن المضي في زحفه، ولكنه يتحامل على نفسه، ويزحف بصعوبة والدماء تنزف من جراحه. والرصاص يتناثر من حوله، ويظل يجاهد بعناد حتى يقترب من هدفه فيشعل اللغم فينفجر، ويدمر مركز الحراسة، ويقضي على البطل الفذ، ويمضي ليلاقي ربه شهيداً.

وهذا المجاهد «عبد الرحمن عبد الخالق» يقود إحدى جماعات الاقتحام في المعركة ويستمر في قتاله الرائع رغم أوامر الإنسحاب التي صدرت إليه، فيقول كيف ننسحب وإخواننا في داخل المستعمرة ثم يذكر من معه قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾ ويظل يقاتل بشدة حتى تصيبه رصاصة قاتلة في رأسه لتضع اسمه في عداد الشهداء الخالدين.

وهذا مجاهد آخر هو، «عمر عبد الرؤوف» تصيبه رصاصة في صدره فتبدو على وجهه إبتسامة مشرقة، ويهتف بمن حوله «أترون ما أرى؟ ثم يأخذ نفساً طويلاً، ويقول هذه هي الجنة... إنني أراها... وأشم رائحتها»، ثم يلفظ أنفاسه الطاهرة، ليمضي إلى جنة ربه الموعودة.

ولكل شهيد من شهداء هذه المعركة قصة في البطولة لا يزال إخوانهم الأحياء يرددونها بمزيد من الإعجاب والتقدير. (ويقول في ص ٦٢):

قلنا أن تجربتنا مع كفار ديروم قد انتهت بنا إلى إننا ـ لظروف تدرينا وعددنا واسلحتنا ـ لم نستطع أن نهاجم المستعمرات المحصنة وأن خطتنا المقبلة كانت ستتضح في أكثر من مكان من هذه المذكرات:

أولاً: استدراج سكان المستعمرات للأرض المكشوفة وإرغامهم على القتال فيها.

وثانياً: فرض الحصار والعزل على المستعمرات وإرهاقها بأعمال الازعاج والقناصة ولقد سلكنا لتحقيق هذين الهدفين سبلاً شتى منها قطع طرق المواصلات وإقامة الكمائن ونسف أنابيب المياه وضرب المشاريع والمنشآت المنعزلة، وكان طبيعياً أن ينظم العدو غارات على مراكزنا المتقدمة في النقب وكانت تلك هي الفرصة التي نريدها ونهدف إليها،

ومع هذه الحركات أصبح النقب الجنوبي في مثلث واسع قاعدته تمتد من غزة إلى رفح ورأسه عند بئر السبع ميداناً لمعارك مستمرة ليلاً ونهاراً، وكنا سعداء بهذه «الحرب الخاصة» التي كانت كثيراً ما تبدو وكأنها معزولة عن الحرب الواسعة وقليلاً ما تتقيد بما طرأ عليها من قيود والتزامات كقرارات الهدنة ووقف إطلاق النار.

وأما عن مستعمرة كفار ديروم فقد ألزمناها بحصار محكم وإزعاج مستمر طيلة بضعة شهور، ولست أشك أن سكانها تعرضوا لأنواع شتى من الضيق والآلام ولكنهم صمدوا بشجاعة حتى اضطروا لإخلاء المستعمرة في منتصف يوليو عام ١٩٤٨، وكان ذلك نجاحاً بارزاً لخطتنا التي تقوم على الحصار من ناحية والاستدراج للأرض المكشوفة من ناحية أخرى، وقد شجعنا نجاح الحصار على كفار ديروم إلى فرض حصار مماثل على مستعمرات أخرى مثل (نيريم) و «بيرون إسحاق» أو «المشبة» كما يسميها البدو، ولقد حاول العدو في مناسبات عديدة اختراق الحصار بواسطة القوافل المصفحة ولكن النظام الذي وضعناه للإنذار المبكر عن طرق حلفائنا من البدو كان يمنحنا وقتاً كافياً للاستعداد وتحضير الكمائن وبث الألغام على طرق المواصلات، وفي مرات كثيرة كانت قوافل العدو تقع في هذه الكمائن وتكون سياراتها وأسلحتها وشحنات تموينها غنائم ثمينة كنا في أكثر الأحيان نقدمها هدية لأصدقائنا البدو. ولا شك أن هذه المعارك العديدة قد ساعدتنا على تطوير أساليبنا وابتكار وسائل جديدة حسب الظروف، وحين أيقن العدو أن لا أمل له في إختراق الحصار على المستعمرات التي نحاصرها ولا سيما كفار ديروم، لجأ إلى إنزال الإمدادات بالمظلات ولكن نيراننا الأرضية وضيق مساحة المستعمرة كانت تجعل عملية الإنزال غير محكمة وهكذا كانت الصناديق تنزل على رجالنا وعلى العشائر البدوية المجاورة وكأنها موائد مباركة من السماء!! ولكن

هذا الحصار لم يؤت نتائجه المرجوة في احتلال تلك المستعمرات فيما عدا كفار ديروم لأن أكثرها لم تكن معزولة تماماً عن المنطقة اليهودية كما أن الجيش المصري لم يلبث أن تصدع تحت الهجوم اليهودي الشامل مما جعل استمرار الحصار للمستعمرات أمراً غير عملي وغير مجد. (وفي ص ٦٨ يقول):

قلنا إن الدرس الذي استخلصه الإخوان من معركة «ديروم» الأولى أن يشرعوا في تنظيم حرب عصابات تشمل صحراء النقب كلها. ولقد باشروا تنفيذ هذه الخطة ومضوا يخرجون في عصابات قوية تدمر شبكات المياه وتنصب «الكمائن» على طرق المواصلات، حتى استطاعوا تدمير عدد كبير من المصفحات والسيارات.

ولقد حدث مرة أن قامت قوة منهم بقيادة المجاهد «حسن عبد الغني» بتدمير شبكات المياه بين مستعمرتي «بيري» و «أتكوما» وأباحت أنابيب المياه لأعراب المنطقة ينتزعونها من الأرض تحت حراستهم، حتى نزعت من الأنابيب مساحات شاسعة، ثم رابطت في المنطقة، لتمنع العدو من إصلاحها، وصبر اليهود يومين عسى أن تنصرف لشأنها، ولكن القوة العنيدة ظلت تواصل تدمير الأنابيب ونزعها والتعرض للمصفحات والقوافل التي تحاول إصلاحها، فلم تجد القيادة الإسرائيلية بداً من الدخول في معركة مباشرة، فجمعت عدداً كبيراً من المصفحات من جميع المستعمرات. وأحاطت القوة الصغيرة من جميع الجهات، وأخذت تقترب منها على أمل أن تظفر بها. وثبت الإخوان ثباتاً عجيباً، وأوقعوا في اليهود عدداً من القتلى قبل أن يبعثوا في طلب النجدات من معسكراتهم.

وجاءت مصفحات الإخوان وأقامت حول مصفحات العدو الذي

سقط في يده حين رأى نفسه محصوراً بين نارين، فاضطر إلى طلب نجدات أخرى من المستعمرات القريبة، وامتلأ ميدان المعركة بقوات كبيرة من الجانبين. واشتد القتال بين الفريقين شدة لم يسبق لها مثيل، حتى يئس العدو من زحزحة الإخوان عن موقفهم، فأخذ يطلق سحباً من الدخان ليستر انسحابه، وما كادت أطباق الدخان تنجاب عن ميدان المعركة حتى سارع الإخوان يجمعون غنائمهم من السلاح ويعودوا لتدمير الأنابيب من جديد.

وأيقن اليهود أنه لا قبل لهم بمواجهة هذه القوات المتفانية في حرب شريفة، وحاولوا تسميم آبار يستعملها الإخوان في منطقة «خزاعة» حيث كان المجاهد «نجيب جويفل» يرابط بها بسريته.

ولكن عين الله المبصرة ويقظة الإخوان مكنتهم من اكتشاف الجريمة قبل وقوعها، وذلك أنهم لمحوا رجلين يرتديان الملابس العربية ويتظاهران باستجلاء الماء، وكان منظرهما يدعو إلى الريبة، فاقترب منهم الجندي الحارس وأمرهما بالوقوف، فلاذا بالفرار، فتعقبهما الجندي الحارس وعدد من إخوانه حتى أدركوهما ولم يبق بينهما إلا خطوات، وأمروهما بالتسليم مهددين إياهما بإطلاق النار، فرفعا أيديهما بالتسليم، وحين اقترب الإخوان منهما إنبطحا على الأرض في سرعة، وقذفا على المهاجمين عدداً من القنابل اليدوية، وأسرع الإخوان بملاصقة الأرض ثم أطلقوا عليهما النار فأردوهما قتيلين. (في صفحة ٧٠ يقول):

وكان الواجب يحتم علينا منذ شرعنا في تنظيم حرب العصابات أن نتعاون مع أعراب المنطقة، غير أن الاشاعات التي كانت الدعاية اليهودية ترددها عن خيانة هؤلاء البدو ومدى تعاونهم مع العدو وقفت سداً منيعاً دون ذلك التعاون المنشود، ولم نكن نستطيع العمل في هذه المناطق

دون أن نتبين مدى صحة هذه الإشاعات. ودون أن نحيل بدو هذه المنطقة إلى قوة متعاونة معنا على الهدف والغاية. ولقد قمنا بمحاولات كبيرة إزاء هذه المشكلة أثبتها في هذا البحث كأساس لما جنيناه من نتائج.

بعثنا عدداً من دوريات الاستكشاف، وذهبت بصحبة الإخوان المسؤولين أكثر من مرة، فخيل إلينا أن هناك شبه تعاون فعلاً بين اليهود وبدو تلك المناطق. فهذه المصفحات اليهودية تنتقل بين المستعمرات بحرية وأمان، وتمر على خطوات من مضارب البدو وخيامهم دون أن يتعرضوا لها بشيء من الأذى، ولم تمض إلا أيام حتى فهمنا السبب ـ فبطل العجب ـ وعلمنا أن الخطأ يقع علينا لا على هؤلاء البدو.

كان اليهود يسترضونهم بشتى السبل ويحيطونهم بكثير من صنوف الرعاية والإغراء، فهذه أنابيب المياه تصل إلى خيام البدو، والماء عند البدو ضرورة عزيزة المنال، يسير من أجله ساعات طويلة على جمله ليحصل عليه، فإذا كان اليهود يمدونه به حتى خيمته فذلك جميل ما بعده جميل، وها هم قواد المستعمرات اليهودية يضيفون البدو، في خيامهم ويسامرونهم ويأكلون عندهم «العيش والملح» ويشاركونهم الأعياد والأفراح.

ولا أنكر أن بعض القبائل الأخرى كانت في حالة حرب مع اليهود من اليوم الأول لهذه الحركات، ولكن هذا لا يمنع من تصحيح هذه الأوضاع الفاسدة، فبدوي واحد ممالىء لليهود، يحدث ثغرة عميقة في خطط الدفاع ويكون أخطر من كتيبة معادية تقاتلنا وجهاً لوجه.

لا بد أن تصحح هذه الأوضاع ليعلم البدوي حقيقة هؤلاء الأصدقاء الألداء، ولقد جربت البدو بنفسي فوصلت إلى نتيجة آمنت بها إيماناً

عميقاً، تلك هي أن البدوي لا ينقصه الإيمان بقضيته والتعلق بوطنه، ولكنه في هذه الحالة، مضطر لسلوك هذا المسلك، فليس لديه السلاح الذي يواجه به قوى اليهود الموزعة في كل قطعة من وطنه، وهو في حالة من الفقر لا تسمح له بشراء الأسلحة وقد كانت تساوي مالاً كثيراً في ذلك الحين، ولا توجد على مقربة منه قوات عربية منظمة تستطيع أن تدفع عنه العدوان، وتحمي أولاده وغنمه من هجمات العدو الغادرة.

وإذن فليس الذنب ذنبه، ولكن الجرم يقع على تلك الفئة التي وضعتها الظروف في موضع القيادة من هذه الحرب، والذنب بعد ذلك يتركز في الزعامة الشعبية التي لم تكن تكلف نفسها مشقة التجول بين هؤلاء الأعراب وتنظيم حركة المقاومة في مناطقهم وتلقينهم ما يجب عمله إزاء هذه الحالة.

فعلى الذين يتهمون البدو بالخيانة، أن يتهموا أنفسهم بالتقصير والتضليل، وإذا قارنا بين جهل البدوي المطبق وبين علمهم ومسؤولياتهم وعظم التبعة المعلقة في أعناقهم أمكننا أن نحدد التهمة وأن نضع الأمور في نصابها الصحيح.

أما الذي صنعناه نحن لتصحيح هذا الوضع وإثارة أعراب المنطقة فقد كان من البساطة والسهولة بحيث لا يحتاج إلى كثير من التفكير والتدبير، ذلك أننا أوعزنا إلى بعض شباب الإخوان أن يتسللوا في ظلمة الليل ويبثوا الألغام على الطرق اليهودية القريبة من مضارب البدو دون أن يفطن أحد إلى وجودهم ففعلوا، وانفجرت الألغام في إحدى القوافل اليهودية ولم يكن العدو في حاجة إلى التفكير ليعلم أن هؤلاء البدو هم واضعوها أو على الأقل مشتركون في وضعها، فأخذوا يطلقون عليهم النار بلا حساب وكانت قوة من الإخوان مستعدة على مقربة من هذه المنطقة

فأغارت على مؤخرة اليهود، وكان طبيعياً أن ينحاز العرب إلى عرب مثلهم، وأخذوا يشاركوننا في قتال اليهود حتى أرغموهم على دخول المستعمرات.

وهكذا نجحت الخطة وتحولت هذه القبائل من ذلك الحين إلى قوة معادية لليهود. وعرف الإخوان كيف يستغلون ذلك. فجندوا عدداً كبيراً من شباب القبائل وأخذوا يدربونهم على استعمال السلاح حتى إذا أتموا تعليمهم وكلوا إليهم الأعمال الخطرة. والبدوي بطبيعته مقاتل قوي البأس فوق ما يتمتع به من مزايا تجعله بارعاً في الإخفاء والتمويه. ولقد أظهر هؤلاء الأعراب بعد ذلك إيماناً قوياً وتفانياً في العمل وكان لهم أبعد الأثر في نجاح العمليات الخطرة التي اضطلع بها الإخوان بعد ذلك.

ولقد أصبحت هذه القبائل لا تكلفنا إلا شيئاً يسيراً من الذخيرة. وأفراد من الإخوان يوجهونهم وينظمون حركاتهم. ولقد تداول على قيادتهم عدد من خيرة شباب الإخوان. ممن أبلوا بلاءاً حسناً وأظهروا كثيراً من الشجاعة والمقدرة أذكر منهم المجاهدين (نجيب جويفل) و (حسن عبد الغني) و (علي صديق) وغيرهم ممن تركوا آثاراً باقية، وذكريات طيبة، ولا يزال رجال القبائل حتى اليوم يمتدحون سيرتهم ويمجدون ذكراهم.

وحين تشعبت أعمال الإخوان واتسعت الجبهات التي يحاربون فيها. وزادت القيود التي فرضتها الحكومة لمنع دخول المجاهدين من مصر. اضطررنا لتشكيل مجموعات منظمة من رجال القبائل وفتحنا باب التطوع. فانهال جموع كبير من شبابهم. وفعلاً تشكلت منهم عدة (سرايا) وتركنا مهمة تدريبها وإعدادها للأخ (نصر الدين جاد) الذي بذل جهداً مشكوراً، في تنظيمها، حتى صاغ منها قوة مقاتلة استطاعت أن تثبت وجودها وأن

تشترك في معارك الإخوان الكبرى ويكون لها أثر كبير في نتائجها العامة.

ولم نترك هذه القبائل لمصيرها بعد أن وصلنا لأقصى ما نريد من نتائج في هذه المنطقة. فأقمنا في منطقتهم موقعاً (حصيناً) للغاية واخترنا لإقامته تلاً مرتفعاً يشرف على مساحات كبيرة من الأرض. وأحطناه بالأسلاك والألغام. وزودناه بالأسلحة والعتاد. وكان ضباط الإخوان يتداولون قيادته بنظام ويشرفون منه على تنظيم دوريات مسلحة تخرج بمعونة البدو وتتعرض لقوافل التموين اليهودية وتضطرها للدخول في معركة معها. تنتهي حتماً بتدمير غالبية وحداتها وقتل كثير ممن فيها. وتكررت هذه العمليات حتى روع اليهود وصمموا على محو هذا الموقع وتدميره، فهاجموه بمصفحاتهم أكثر من مرة غير أنهم لم يفلحوا في إقتحامه كما كانوا يقدرون.

ومما يدل على مدى اهتمامهم به وإضرارهم على احتلاله ذلك الهجوم الذي شنوه صبيحة يوم ٧/١٩ وحشدوا له قوات كبيرة من جميع المستعمرات القريبة ومهدوا لهجومهم بضرب شديد من مدفعيتهم ثم تقدموا تحت حماية المصفحات، واستطاع الإخوان أن يحيطوا بهم وسط التلال المتناثرة على مقربة من خربة «أبو معيلق»، ويوقعوا بهم هزيمة فادحة الخسائر، ويرغموهم على التقهقر بعد تدمير عدد من المصفحات، نظير شهيد واحد خسره الإخوان هو المجاهد «سيد حجازي»، وعدد من الجرحى منهم قائد الموقع في تلك الفترة المجاهد «محمد الفلاحجي» من إخوان الدقهلية.

لقد كان هذا الموقع بمثابة صورة بدائية لمستعمرة محصنة، وكان الهدف منه ـ كما أسلفنا ـ هو تثبيت القبائل البدوية في أماكن سكناها حتى لا تهاجر تحت عامل الخوف فتصبح المنطقة كلها تابعة لليهود دون قتال،

ولقد كنت شديد الاهتمام بقضية إبقاء العرب في النقب اعتقاداً مني أن جلاءهم عن أراضيهم وفرارهم يعني تسليمها للعدو ويعني أن تمتد رقعة المستعمرات ويصبح بإمكان الوحدات الإسرائيلية فيها أن تتنقل بحرية وأمان وأن تتجمع قواها لتساهم في المعارك الرئيسية ضد الجيش النظامي.

معركة العصلوج:

يرويها عبد المنعم عبد الرؤوف في ذكرياته ص ٥٣ وما بعد:

تقع قرية العصلوج (نسبة إلى بئر العصلوج) في وسط صحراء النقب الجنوبي، ويؤم هذه البئر رعاة الأغنام والإبل للشرب وملء القرب والفناطيس، وهي غير آهلة بالسكان مع وجود مسجد صغير بمئذنة، وكل ما عدا ذلك تلال وجبال ورمال وبقايا ثكنات الانتداب البريطاني.

وتأتي أهمية هذه القرية من بئر المياه، والطريق البري الذي يمتد في وسطها إلى بير السبع، والخليل والقدس ونابلس وصفد حتى الناقورة، ويمتد منها غرباً وادي غزة حتى البحر الأبيض المتوسط وشرقاً إلى وادي الأردن، ولذلك فهي تمثل موقعاً استراتيجياً هاماً.

وكان موقع قواتي في العصلوج يبعد مسافة خمسين كيلو متراً عن العوجة على الحدود المصرية، حيث موقع المقدم أركان حرب زكريا الورداني القائد الثاني للمتطوعين، وكل ما كان معه عربة إسعاف واحدة وبعض الجنود للصيانة ولوريان لنقل التموين والمياه كل أسبوع لنا، وليس معه أي قوات مقاتلة، كما تبعد العصلوج ٦٥ كيلو متراً عن ميناء غزة. وتبعد أيضاً عن مدينة بير السبع مسافة ٢٥ كيلو متراً وعن مدينة بيت لحم حيث توجد القيادة العليا للمتطوعين بقيادة المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز مسافة ١٢٠ كيلو متراً، ولم تكن لدى قواتي أجهزة اتصال لاسلكية بيني وبين القيادات العليا في بيت لحم، وبمجرد وصولي في

١٠/٥/١٩٤٨ إلى منطقة العصلوج قمت باحتلال موقع دفاعي وإجراء استكشاف في جميع الاتجاهات لمعرفة المستعمرات اليهودية القريبة وطرق الاقتراب للعدو، وخرجت من هذا الاستكشاف بوجود أربع مستعمرات معادية، وكثرة الحركة حولها، وتفوق العدو في المصفحات والأفراد وسهولة إمداداته وتموينه..

أما قواتي فلم يكن لديها مدفعية مضادة للدبابات أو الطائرات أو مدفعية ميدان، وكانت حاجتي للألغام سواء المضادة للأفراد أو الدبابات ملحة، والمتيسر منها قليل جداً.

وواجهتني صعوبة كبيرة في أعمال الصيانة وتوفير المواد التموينية؛ ولذلك قمت بإرسال ٦ تقارير كتابية إلى المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز عن طريق القائد الثاني الموجود بالعوجة، وكان كل ما وصلني من القيادة النقيب حسن فهمي عبد المجيد، الذي حضر ومعه مدفعان مضادان للدبابات، وهما كل ما لدى قيادة المتطوعين، وأمضى معي أربع ساعات في استكشاف الطرق المحيطة بنا وشاهد بنفسه سير مصفحات العدو، وعاد إلى القيادة في بيت لحم ومعه المدفعان.

وفي أحد الأيام جاءني رجل بدوي فلسطيني اسمه عقيل ومعه أربعة ألغام مضادة للمصفحات، وأبلغني أنه وجدها مبثوثة في الرمال التي جرفتها الرياح عن الطريق القادم من العوجة، وقد تمكن من إبطال مفعولها، فشكرته ووعدني بأن يبذل كل ما في وسعه لمساعدتي.

مع قائد سلاح الحدود:

وكنت أعلم مسبقاً أن قائد سلاح الحدود أحمد سالم باشا، ومعه المقدم أركان حرب محمود رياض (الأمين العام لجامعة الدول العربية فيما بعد) سيمران بي في اليوم التالي فأخبرتهما بقصة ذلك الأعرابي فرغبا

في زيارته، وأعطاني محمود رياض مبلغاً من المال لكي أعطيه لذلك الأعرابي، وقمت بشرح جميع جوانب موقفي العسكري واحتياجات قواتي الضرورية، وقد وعداني بإبلاغ ذلك إلى القيادة.

وكانت خطتي لمقاتلة العدو والدفاع عن العصلوج كالآتي:

أ ـ كمائن ليلية ضد دبابات ومصفحات ومشاة العدو.

ب ـ نقطة ملاحظة للإبلاغ عن تحركات العدو أولاً بأول لمعرفة نواياه.

جـ ـ احتلال الموقع الحيوي في العصلوج المشرف على الطريق البري شمالاً إلى بير السبع وجنوباً إلى العوجة.

د ـ احتلال مئذنة مسجد العصلوج بحملة القنابل اليدوية للضرب على أية تجمعات للعدو تنجح في التسلل إلى العصلوج.

وفي أحد الأيام من شهر مايو عام ١٩٤٨ فوجئت بوصول سيارة من قيادة المتطوعين تحمل أمراً بإرسال المتطوعين الجزائريين وعددهم عشرون جندياً إلى مقر قيادة المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز، وبمجرد تنفيذي لهذا الأمر طلب مني الجنود الليبيون اللحاق بإخوانهم الجزائريين، بحجة أن احتمال مقاتلة العدو اليهودي هناك في بيت لحم أكثر مما هو في العصلوج. فكان ردي أن مقاتلة العدو هنا أو هناك قد تحدث في أي لحظة، وأن حاجتي إليهم الآن خصوصاً بعد سفر الجنود الجزائريين هي بالتأكيد أكثر ضرورة، وأن أجرهم عند الله سيكون أكبر، نظراً لقسوة الحياة في العصلوج.

ولكن نصائحي لم تلق عندهم آذاناً مصغية وامتنعوا عن الاشتراك معنا في أي شيء بما فيه أداء واجبهم في خطة الدفاع وهو احتلال الموقع الحيوي للدفاع عن العصلوج.

اشتباك واستشهاد:

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩٤٨/٦/١١، وهو يوم الهدنة الأولى، عدت من المرور على الكمائن فسمعت أصوات انفجارات، وأصوات رشاشات، وجاءني أحد المراقبين من المئذنة وأخبرني أن هذه النيران هي من مواقع كمائننا، وتلاه آخر من أحد الكمائن يؤيد ذلك، فتيقنت أن المعركة مع العدو قد آذنت، وبعد عدة ساعات اشتبكت قواتي القليلة العدد مع العدو بقواته الكثيرة العدد والعتاد وقد شاهدت بنفسي استشهاد الجنود الليبيين عندما أطلق عليهم المتسللون النار من الخلف.

كما شاهدت عشرات القتلى من العدو الذين لقوا مصرعهم من أثر القنابل التي قذفت عليهم من المئذنة، وكان آخر موقع انتقلت إليه أثناء المعركة هو بقايا جدران غرفتين في ثكنات الجيش البريطاني، وقد حدث أثناء وجودي داخل إحدى الغرفتين أن دخل أحد جنود العدو ليفتش المكان، فألقى قنبلة يدوية أثارت بعد انفجارها سحابة من الدخان، وبالتالي أخفتني ومعي جنديان أحدهما يدعى محمد منصور من متطوعي الإخوان المسلمين شعبة العباسية، وبعد انفجار القنبلة دخل اليهودي وفتش الغرفة الأولى بإطلاق طلقات سريعة في كل اتجاه من رشاشه، ثم خرج وسمعته يعيد تعمير رشاشه ويتكلم مع بعض زملائه.

وقد بزغ الفجر حينئذ فرأيت أشلاء القتلى للعدو تحت المئذنة، ورأينا جنود العدو يخلون المكان ويحملون جرحاهم في سيارات الإسعاف، ورأينا عشرات العربات المعادية تملأ أرض العصلوج.

وقد استشهد ثلاثة من قواتي التي كانت بالمئذنة وهم:

الأخ عبد الوهاب البتانوني من إخوان طنطا.

والأخ محمد زكي من إخوان حلوان.

والأخ محمود حامد ماهر من إخوان القاهرة.

الانسحاب من العصلوج:

من بقايا آخر موقع انتقلت إليه حددت طريق الانسحاب للجنديين اللذين كانا معي، وهو التحرك على وثبتين، الوثبة الأولى على مسافة ٢٠٠ ياردة مني، والوثبة الثانية على مسافة ٣٠٠ ياردة من الوثبة الأولى على أن نزحف على بطوننا بفاصل خمس دقائق بين كل واحد والآخر مبتدئا بنفسي.

وبدأنا التنفيذ بعد غروب الشمس مباشرة، وقبيل وصولي للوثبة الأولى- وهي عامود تليفون- شاهدت على يميني شخصين يتحركان، وكانت طبنجتي في يدي، فحولت فوهتها ببطء وحذر نحوهما، وضغطت على التتك فلم تنطلق الرصاصة (أسلحة فاسدة) فأخرجت خنجري بسرعة واندفعت بقوة نحو أقربهما مني لأقتله، وإذا بصوت باللغة العربية يستنجد منادياً: حضرة اليوزباشي! لتعريفي بأنه محمود منصور الذي كان معي في الموقع، فخارت قواي وحمدت الله كثيراً.

ولما سألته: لماذا تحرك هو ورفيقه قبل مضي الدقائق الخمس كان جوابه هو أنهما خشيا أن يضلا الطريق، لأنني الوحيد الذي على دراية كاملة بمسالك المنطقة، وقد نفذا الانسحاب للوثبتين الأولى والثانية حسب الأوامر الصادرة إليهما مني في البداية، وبعد أن تجمعنا عند الأسلاك زحفنا مسافة أخرى حتى أبتعدنا تماماً عن العصلوج.

وأكملنا السير بعد ذلك في اتجاه العوجة حتى بزوغ فجر اليوم التالي، فوجدنا أنفسنا قريبين من أحد مضارب البدو الذي كان مهجوراً

من صاحبه الذي تركه وبه إناء من الصفيح به نصف كوب من الماء، وكان العطش قد بلغ بنا أشده، وكنا أثناء انسحابنا ليلاً وقبل وصولنا لهذه الخيمة نرطب ألستنا بطل الندى الذي كان يكسو الزلط عند الفجر، فاقتسمنا الماء نحن الثلاثة.

ثم أكملنا السير بعد ذلك، وعند أذان العصر وصلنا إلى خيمة بدوي فلسطيني آخر رحب بنا وذبح لنا دجاجة، وأرسل ابنه على جواد إلى قائد ثاني المتطوعين بالعوجة الذي أرسل لنا سيارة نقلتنا إليها.

استجواب:

توافد إلى العوجة وبير السبع جميع أفراد الكمائن الذين حاربوا معي في العصلوج، بعد أن استطاعوا تدمير إحدى عشرة مصبفحة بأفرادها، وأما الجنود الثلاثة الذين كانوا فوق المئذنة فقد استشهدوا كما ذكرت بعد أن أنزلوا بالعدو خسائر كبيرة بالأفراد من أثر القنابل اليدوية التي ألقوها عليه.

وقد وجه لي قائد الجيش اللواء المواوي بك السؤال التالي:

ما أسباب هزيمتك في العصلوج؟!

فكان جوابي ما سبق أن كتبته في تقاريري الستة، وما قلته لمدير الحدود أحمد سالم باشا عند مروره بي في العصلوج قبيل المعركة. وألخصها في الآتي:

١ ــ وجود عدة طرق مؤدية إلى العصلوج خالية من الكمائن لقلة الأفراد خاصة بعد سحب القوات الجزائرية وإضراب القوات الليبية.

٢ ــ عدم وجود قوات خاصة مزودة بأسلحة خفيفة مضادة للمصفحات للقيام بالهجوم المضاد.

٣ــ سوء الشؤون الإدارية بمعنى نقص المياه للاستحمام والشرب

والغسيل، وعدم وجود نظارات لوقاية العيون من العواصف الرملية، فضلاً عن تعرض الجنود طوال النهار للهيب الشمس الحارقة، كذلك عدم وجود أطعمة طازجة مطهية.

٤ ـ خفة حركة العدو مع البطء الشديد في حركتي.

وكذلك أبلغت سيادة اللواء أحمد على المواوي القائد العام للقوات بأن قائد قوات المتطوعين في بيت لحم العقيد أركان حرب أحمد عبد العزيز بالرغم من علمه بسوء موقفي من واقع التقارير التي أرسلتها إليه (والتي قدمت منها نسخاً إلى المواوي بك) فإنه لم يزرني مرة واحدة للتأكد من خطورة موقفي، ولهذه الأسباب اقتنع المواوي بك بسلامة موقفي.

وقد طلبت من سيادته إعادتي إلى الجيش فتم نقلي إلى الكتيبة الرابعة مشاة بقيادة العقيد أركان حرب محمد كامل الرحماني بطل معركة نيتسليم.

مع أحمد عبد العزيز في جولته

(كامل الشريف)

كانت خطة أحمد عبد العزيز مهاجمة المستعمرات اليهودية، وكان يريد أن يسلك السبيل الخاطىء الذي سارت فيه قوات الإخوان الحرة من قبل، ولقد اتصل به الاستاذ «محمد فرغلي» وبين له خطورة هذا الإجراء متخذاً من كارثة الإخوان في (كفار ديروم) مثلاً لما يقول، لكن هذه النصائح لم تجد سبيلها في نفس أحمد عبد العزيز وعز عليه أن يتراجع في أمر أبرمه فصمم على مهاجمتها وقدر له أن يتلقى على يدها درساً قاسياً دفع ثمنه الفادح من خيرة شباب الإخوان وزهرة رجالهم.

اتجه تفكير أحمد عبد العزيز إلى مهاجمة مستعمرة (كفار ديروم) أول المستعمرات وأقربها إلى طرق المواصلات، فبدأ في ١٠ مايو بإرسال دورياته لتحصل على معلومات تكون أساساً لخطته حتى إذا تم له ما أراد نظم الخطة. وكانت كلها تدور على أن مدفعيته الضخمة ستدك الأبراج والحصون، ولن يجد مشاته أحداً في قلب المستعمرة لأن حماتها سيكونون جميعاً تحت الأنقاض!!.. وكانت خطته ـ بإيجاز ـ تقضي بأن تبدأ المدفعية في دك الحصون في الساعة الثانية صباحاً لمدة عشر دقائق، يبدأ الفدائيون بعدها في نسف حقول الألغام ومواقع الأسلاك الشائكة، ثم تهاجم المشاة المستعمرة من ثلاث جهات لتتم تطهيرها واحتلالها.

وأترك وصف هذه المعركة للأخ المجاهد (أحمد لبيب الترجمان) أحد قواد الإخوان في الميدان وقائد جماعات الاقتحام في هذه المعركة.

قال الأخ «ليبب»: إن أول الأخطاء التي تورطنا فيها كان تأخير الهجوم عن موعده المقرر. فبدل أن تبدأ المدفعية ضربها في الساعة الثانية، بدأت في الساعة الرابعة والنصف حين وضح النهار وأصبح في مقدور العدو مراقبة المهاجمين وحصدهم بالبنادق والرشاشات.

أما لماذا تأخر ضرب المدفعية فكان العذر أقبح من الذنب، ذلك أن الضابط المختص لم يسجل الأغراض التي تقرر ضربها بالنهار، ليسهل عليه ضربها بالليل، مما أضطره، إلى تأخير الضرب حتى يسفر النهار وتتضح الأغراض، وانطلقت المدافع بعشرات القنابل واستمرت الأبراج لا تتزعزع، وحينئذ وضح أمامنا أن الخطة فاشلة وأن الهجوم لو استمر فسيتحول لكارثة مروعة، وحاولنا تأجيل الهجوم ليوم آخر أو تحوير الخطة بحيث تتلاءم والأوضاع الجديدة ولكن الأوامر صدرت بمواصلة الزحف واحتلال المستعمرة، واطبقت المدفعية الكبيرة أفواهها، وانطلقت مدافع (الهاون) تلف المستعمرة بسحابة من الدخان.

ويدأ المجاهدون يزحفون إلى أغراضهم، والعدو الماكر يغري بالتقدم حتى أصبحنا على الأسلاك والمستعمرة لا تزال هادئة ساكنة وفجأة تشققت الأرض عن عيون كثيرة، وانسابت سيول دافقة من النيران وتساقط المجاهدون حتى امتلأت الساحة بالجرحى والشهداء.

وكان مقرراً أن يدمر الفدائيون الأسلاك الشائكة بألغام (البنجالور) غير أن حملتها أصيبوا جميعاً، ورأينا أنفسنا في وضع حرج، ونيران العدو لا تزال تشق طريقها في الجموع العارية، فجأة تقدم شاب أسمر طويل وصاح في إخوانه ليتراجعوا إلى الوراء، وتراجعت الجموع قليلاً للوراء، فقذف الشاب بنفسه على الأسلاك الشائكة المشحونة بالألغام، فانفجرت وتطايرت الأسلاك الشائكة وتطاير جسده معها أشلاء ممزقة، وفتحت

السماء أبوابها لتستقبل ضيفاً جديداً كان أهل الدنيا يعرفونه باسم (عمر عثمان بلال).

وقضي على البطل الجريء ولكن بعد أن حقق المعجزة وفتح لإخوانه ممراً في الأسلاك وفرجة لهم بدمه الطاهر، وتدفقت الجموع إلى المستعمرة وأخذت تحتمي من نيران العدو بحفر القنابل وخنادق المواصلات، ورأى العدو ذلك فجن جنونه وأخذ يركز الضرب على هذه الثغرة، وانطلقت مدافعه ورشاشاته تقيم أمامها سداً كثيفاً من النار والبارود، فارتبكت الجموع مرة أخرى ووجدها العدو فرصة سانحة فشدد النكير، وفجأة وصلت المهزلة إلى آخر مراحلها إذ انطلقت مدفعيتنا من الخلف وبدل أن تصب نيرانها على اليهود المختبئين في المستعمرة، أصابت المجاهدين الزاحفين حولها، وتسبب هذا الخطأ الشنيع في قتل عدد كبير، وكان طبيعياً أن يحل الذعر وتنهار الروح المعنوية وتتوقف المعركة عند هذه النهاية الدامية، وتفتح الجنة أبوابها لتستقبل سبعين ضيفاً جديداً من خيرة شباب مصر، وتستعد مستشفيات (غزة) و (القاهرة) لتستقبل خمسين جريحاً من جرحى هذه المعركة.

وكان ممن جرح فيها اليوزباشي البطل «معروف الحضري» فحمله الإخوان من داخل المستعمرة، حيث رحل للعلاج في القاهرة، وقبل أن يتماثل للشفاء عاد ليواصل جهاده ويلعب دوراً هاماً على مسرح الحرب.

ولا أنتهي من الحديث عن هذه المعركة بالذات دون أن أسجل خطأ فاحشاً وقع فيه المسؤولون عنها، ذلك أنهم تركوا الشهداء والجرحى حول المستعمرة دون أن يعملوا على نقلهم، مما أثر تأثيراً بعيداً في نفوس المجاهدين، ولكي أصور فداحة هذا الخطأ يكفي أن أقول أن جثث الشهداء الأبرار ظلت ملقاة حول المستعمرة أكثر من شهر حتى استطاع

كاتب هذه السطور ـ بمعونة نفر من إخوانهم نقلهم حين أعلنت الهدنة في ١٨ يونيو.

انتهت معركة (كفار ديروم) على هذه الصورة، ولم يكن أحمد عبد العزيز من شهودها. إذ كان يتلقى أنباءها أولاً بأول من مقر قيادته في (خان يونس)، وحين تلقى هذا النبأ جزع جزعاً شديداً. وألم لفقد هذا العدد الضخم من خيرة رجاله دون أن يحقق أدنى نتيجة فصمم على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة وما كان إلا يومان حتى واتته الفرصة ولم يضيعها ولقن اليهود درساً مراً وأعاد لقوته روحها المعنوية التي كادت أن تتلاشى بعد هزيمتها في (كفار ديروم).

ضرب المجاهدون حصاراً محكماً حول المستعمرة، وفي اليوم التالي للمعركة حاول العدو تحطيم هذا الحصار وإدخال قافلة كبيرة محملة بالجنود والعتاد، وكانت هي الفرصة التي ينتظرها أحمد عبد العزيز ويسيل لها لعابه فنظم لها (كميناً) محكماً، وحشد مدافعه على سفوح التلال المشرفة على الطريق، وحين دخلت في الدائرة التي رسمها، أمر اليوزباشي «حسن فهمي» قائد مدفعيته فانطلقت المدافع من أبعاد قريبة، وحاول اليهود الدفاع عن أنفسهم بادىء الأمر، ولكنهم وجدوا أنفسهم محصورين داخل حلقة فولاذية، فاختاروا أهون الضررين وقذفوا أنفسهم في المصفحات وحاولوا النجاة بارواحهم والفرار إلى مستعمرة (كفار ديروم).

وكانت هذه خطوة محسوباً حسابها في الخطة، إذ كان الأخ المجاهد «علي صديق» يقود فصيلة من المشاة مختبئة بعناية وراء التلال القريبة، فلم يكد اليهود ينزلون من المصفحات ويتحركون تجاه المستعمرة، حتى انطلقت الرشاشات من كل صوب فحصدتهم حصداً ولم

ينج منهم أحد.

وحاول حماة المستعمرة نجدة إخوانهم، وتركهم الإخوان يغادرون الأسلاك الشائكة ويبتعدون عنها ثم بدأوا يطلقون عليهم النار من «أوكار» معدة بعناية حتى سقط منهم عدد كبير، وتراجع الباقون إلى المستعمرة، وسكتت المدفعية، وأطبقت الرشاشات أفواهها الملتهبة، وأخذ المجاهدون يحصون ما غنموه، فإذا هم أمام خمس عشرة مصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين ولأول مرة تعلو وجهوهم ابتسامات الفرح بعد هزيمة الأمس، حين فتحوا إحدى المصفحات فوجدوها مليئة بالدجاج والطيور في مختلف الأنواع والأحجام.

وكان نصراً رائعاً ردّ لهذه الكتيبة المجاهدة اعتبارها، وعوض لها خسارتها، وبعد هذه المعركة تغير الموقف واقتنع أحمد عبد العزيز بالنظرة الأولى، وهي أن مهاجمة المستعمرات دون أن يكون معه عدد من الدبابات الثقيلة، إن هو إلا ضرب من الانتحار، فأخذ يستخدم (تكتيكات) العصابات ويضرب المستعمرات بمدفعيته دون أن يهاجمها، ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها، حتى أزعج اليهود إزعاجاً شديداً وحرم عليهم التجول في صحراء النقب وكان مقدراً لهذه الحركة أن تحرز نجاحاً رائعاً لولا ما جدّ على الموقف الحربي من أحداث وتطورات.

لقد أشرت إلى قيامي بنقل جثث شهداء الإخوان في كفار ديروم، وهذه القصة لا تخلو من الطرافة على الرغم من كآبة المناسبة وجو الحرب المقبض في ذلك الحين، ففي صبيحة يوم ١٨ يونيو ظهر أحد جنود «الهاجاناه» من كفار ديروم وهو يحمل راية بيضاء وتقدم نحو مواقع

المراقبة التابعة لنا، وقد أبلغني قائد الموقع بأمره لاسلكياً وطلب الإذن باستقباله لمعرفة ما لديه فأذنت له، وحين وصل أبلغ رجالنا أنه يحمل رسالة شفوية من قائد المستعمرة مفادها أنه يرغب في الدخول معنا في بحث لإخلاء جثث الإخوان من حول المستعمرة مقابل «شروط معينة» وأن قائده مستعد لمقابلة أي مسؤول منا سواء في منطقتنا أو في منطقته لبحث هذا الموضوع الإنساني، ولما بلغني الخبر وافقت على الفور على مقابلة قائد المستعمرة وعرضت أن يكون اللقاء عند مستعمرته إذا لم يكن لديهم مانع، وتركت لقائد موقعنا أن يحدد مع الرسول بقية التفاصيل التي تتعلق بالوقت والمكان، ولم تكن لديهم أي شروط للقاء سوى ألا نحمل معنا أية أسلحة غير الأسلحة الشخصية التي لا تتعدى المسدسات.

والواقع أنني لم أدرك حقيقة المخاطرة التي انطوى عليها ذهابنا للمستعمرة دون أسلحة إلا بعد أن انتهى هذا الاجتماع الطريف، ربما لأنني كنت مشوقاً لرؤية هذا الحصن القاتل من قريب، وربما للتعرف على غريمنا في الجهة المقابلة في جو عادي بعد أن ظل اتصالنا به بواسطة القنابل والرشاشات! على أن أهم ما في الموضوع كان في الحقيقة نقل جثث إخواننا الأعزاء ودفنهم دفناً لائقاً بعد مرور أسابيع على استشهادهم، وفعلاً توجهت في الموعد المحدد ومعي أربعة من ضباطنا أحدهم يحسن اللغة الألمانية بعد أن علمنا أن قائد المستعمرة من أصل الماني، والواقع أننا لم نحتج للترجمة حيث أننا وجدنا أكثر رجال الوفد اليهودي يحسنون اللغة العربية، ومع أننا احترمنا وعدنا بعدم أخذ أسلحة معنا سوى المسدسات إلا أننا لم ننس أن نحرك بطارية مدافع هاون ١٠٨ مم وعدداً من المصفحات إلى أماكن قريبة على سبيل الاحتياط فيما إذا تحرك الغدر اليهودي التقليدي ووجدنا أنفسنا مضطرين للدفاع عن حياتنا.

كان أول سؤال طرحه الضابط اليهودي هو عن مصير بعض الجنود

اليهود الذين وقعوا بين أيدينا خلال الاشتباكات السابقة مع القوافل المصفحة، وكان جوابي أنه لا يوجد لدينا أسرى وإنما وجدنا فعلاً بعض القتلى في داخل السيارات أو على أرض المعركة وأننا قد نقلناهم ودفناهم بصورة عادية، وهنا زعم اليهودي أننا قد أخذناهم أحياء ثم قتلناهم، وكاد هذا الاتهام الوقح وردي العنيف عليه أن ينهي البحث لولا أنه تصنع الهدوء وعرض أن نضع على القبور اليهودية «نجمة داوود» وهو شعار إسرائيل ولكنني رفضت هذا الطلب وعرضت أن نضع عليهم علامات مميزة حتى يمكن التعرف عليهم ونقلهم في نهاية الحرب فوافق على هذا العرض، وكان مطلبه الثاني هو السماح لقافلة تموين بالوصول إلى المستعمرة مقابل السماح لنا بنقل الجثث فرفضت هذا الطلب فوراً باعتباره يخرج عن مهمتي وعن الطبيعة «الإنسانية» المحضة التي جئت من أجلها، فلم يطرق هذا الموضوع مرة أخرى، ويبدو أن سكان المستعمرة كانوا لا يقلون عنا حرصاً على نقل الجثث من أرض المعركة مخافة أن تسبب لهم الأمراض فوافقوا على مطلبنا على أن ننقلهم دفعة واحدة في وقت معين، وعلى أن يكون الأفراد الذين ستوكل إليهم هذه المهمة غير مسلحين. وفي بعض اللحظات أدرك اليهودي أنني أكثر من النظر في المستعمرة وما يحيط بها من أسلاك وأبراج وكأنه أدرك ما يدور في خاطري فلفت انتباهي بأدب قائلاً: «ألا تعتقد أن المنظر في الجهة العكسية أجمل وأفسح» وخلال الحديث قدم لي قائد المستعمرة أحد مرافقيه الضباط وهو من أصل روسي واسمه «آصف» قائلاً: إن هذا الضابط هو الذي حاول قبل بضعة أيام إختراق الحصار على رأس فصيل من هاجناه ولكن نيران رشاشاتنا ردته فاشلاً، فقلت أن وجوده معنا الآن يدل على أنه محظوظ فعلاً ونصحته بألا يحاول اللعب بالنار مرة أخرى!! وأذكر أن الحديث بعد ذلك تحول إلى مبارزة كلامية وتهديدات مبطنة ومحاولات مستترة لكسر

المعنويات وإثارة المخاوف، وفي ختام الجلسة قال له أحد الإخوان مازحاً «إنكم يهود حقاً فلم تقدموا لنا شاياً ولا قهوة ولو جئتم عندنا لأكرمناكم» فرد اليهودي قائلاً «أنكم تحاصروننا منذ بضعة شهور فمن أين لنا القهوة والشاي؟ ثم أن مدافعكم أمس دمرت مطبخ المستعمرة وأتلفت الموقد الوحيد لدينا» وكان تعليقي على هذه المحاورة المازحة أن هذه الاخبار هي عندي أهم من القهوة والشاي!! وفي العودة من كفار ديروم انتابني شعور غريب وأنا أعبر عن نفس الأرض التي عبرتها قبل شهور زحفاً على البطن والرصاص يلفح وجهي كأنه صفير الأبالسة! والواقع أننا لم نحاول العودة إلى «كفار ديروم» حرباً وإنما عدنا إليها في منتصف يوليو بعد أن أفلحت خطة الحصار في إنهاك قوتها واقتنعت القيادة الإسرائيلية بسحب وحدة الهجاناه من هناك.

وفي اليوم التالي أرسلنا بضع سيارات لنقل جثث الشهداء بعد أن أعددنا لهم مدافن في (مقبرة الإخوان المسلمين القائمة على أحد التلال المشرفة على قرية دير البلح) وتم الدفن فعلاً في حفل رسمي حضره وجهاء البلدة والقرى المجاورة.

بعد هذه الحوادث بدأت القوة المصرية النظامية تزحف على فلسطين بقيادة اللواء «أحمد محمد علي المواوي» واحتلت في زحفها السريع كثيراً من المدن الساحلية، ثم توقفت في «غزة» لتنسق عملياتها المقبلة، وكان مفروضاً أن يبدأ التنسيق بتوحيد القيادة في الجبهة المصرية، ويبدأ التعاون الفعلي بين قوات الجيش وقوات المتطوعين وكان من رأي «المواوي» أن يخضع أحمد عبد العزيز لقيادة الجيش العامة. تنسيقاً للعمل وتوحيداً للجهد وكان يريد أن يجعل من كتيبته (قوة ضاربة) ترافق الجيش في عملياته.

غير أن أحمد عبد العزيز رفض هذه الفكرة وأصر على أن يستقل بالعمل بحجة أنه يقود جماعات من المتطوعين لا يلتزمون بالأوضاع العسكرية التي يلتزم بها الجيش النظامي.

وأخيراً رأى «المواوي» حسماً للنزاع أن يتولى أحمد عبد العزيز قيادة منطقة (بئر السبع) على ألا يتجاوزها شمالاً ـ فيدافع بذلك عن مفتاح فلسطين الشرقي، ويوزع قوات العدو بين جبهتين واسعتين، ويحمي ميمنة الجيش المصري من خطر الإلتفاف.

وقبل أحمد عبد العزيز هذا الرأي فجمع قواته واخترق بهم صحراء النقب ماراً بمستعمرة (العمارة) حيث ضربها بمدفعيته في ١٧ مايو، ودخل بئر السبع حيث قابله السكان مقابلة رائعة. ولم يكد يستقر بها حتى بدأ أول حركاته بضرب مستعمرة (بيت إيشل) الحصينة ثم شرع في توزيع قوته على هذه المنطقة. فأرسل جزءاً بقيادة البكباشي «زكريا الورداني» ليحتل (العوجة) و (العسلوج) العربيتين. وأبقى جزءاً آخر بقيادة اليوزباشي «محمود عبده» ليتولى الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها.

أما هو فقد أتخذ قيادته في المدينة وأخذ يرسم الخطط لمهاجمة اليهود في كل مكان من الصحراء. ويبدا أن الخلاف فقد انتهى عند هذا الحد وحل محله التعاون والانسجام لولا أن جاء وفد من مدينة (الخليل) في ١٩ مايو وقابل أحمد عبد العزيز والتمس منه إرسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الأردني في الدفاع عن الخليل وبيت لحم. وهنا نجد أحمد عبد العزيز يوافق على توزيع قوته. ويقرر الزحف إلى الخليل. غير عابىء بالتعليمات التي اتفق عليها مع القائد العام وغير عابىء بما قد تجره هذه الخطوة من مشاكل سياسية إذ أن هذه المناطق كانت تدخل ضمن الجبهة الأردنية حسب الخطة العربية العامة.

وفي يوم ٢٠ مايو زحف أحمد عبد العزيز إلى الخليل على رأس قوة صغيرة تاركاً مهمة الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها لليوزباشي «محمود عبده» وفصائل الإخوان المسلمين التي تعمل تحت قيادته ولندع أحمد عبد العزيز يواصل زحفه إلى الخليل ولنقف نحن قليلاً مع حماة بئر السبع حيث نشهد طرفاً من أعمالهم الرائعة.

قرر اليوزباشي «محمود عبده» محاصرة المستعمرات وإنهاك قوى العدو بالغارات المتواصلة على مواصلاته ومراكزه. وأخذ يبعث بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طرق القوافل وترغمهما على الفرار تاركة خلفها الكثير من الأسلحة ومعدات الحرب.

ولقد حاول اليهود في ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم المحصورة. وكان الطريق الذي يسلكونه يمر فوق جسر مقام على أحد الوديان العميقة. فقرر الإخوان نسف هذا الجسر حين مرور القافلة فوقه. وفعلاً قامت قوة من بئر السبع بقيادة المجاهد «علي صديق» وبث الألغام تحت الجسر. واختبأت داخل الشعاب والمنحنيات القريبة ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة العدو وهي جاهلة تماماً ما ينتظرها.

فما أن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر في الهواء. وانقلبت مصفحات العدو في الوادي السحيق. وانتهز الإخوان الفرصة فقاموا يقتلون كل من تظهر رأسه تحت الردم.

وأسفرت المعركة عن قتل عدد من جنود الأعداء، وأسر عدد آخر من المصفحات، أطلق الإخوان على أكبرها اسم قائدهم (محمود عبده) وكما أرهب محمود عبده (الضابط) اليهود بخططه وكمائنه، فقد أرهبت محمود عبده (المصفحة) اليهود بعد ذلك حين كانت تشترك عملياً في جميع الدوريات الناجحة!

أما أحمد عبد العزيز والإخوان الذين معه فما كادوا يدخلون مدينة (الخليل) حتى استقبلهم السكان في مظاهرات حماسية واجتمع الناس بهم في مسجد (الخليل) إبراهيم حيث وقف الأعيان ورؤوس القبائل يرحبون بمقدمهم ويبدون سرورهم البالغ لدخول هذه النوع المؤمن من المجاهدين إلى ديارهم. وما كاد الجمع ينفض حتى ركب أحمد عبد العزيز في دورية إلى مدينة بيت لحم.

ولقد بدأ النزاع بين الأردنيين والمتطوعين في اليوم الأول إذ كانت قوة من الجيش الأردني تحتل المدينة وتتخذ من مركز البوليس فيها قيادة لقوات الاحتلال. وكانت هذه القوة ترفع علمها على سارية المركز، وأراد المتطوعون أن يرفعوا علمهم فمنعهم الأردنيون بحجة أن هذه المدينة تدخل ضمن جبهتهم، وبدأ الصراع بين الفريقين، وانقسم أهل المدينة إلى معسكرين، هذا يشايع المصريين، وذاك يشايع الأردنيين، ووجدتها عناصر الفتن فرصاً سانحة لبذر بذور الجفاء، واستغلها الجنرال «كلوب» أسوأ استغلال فأخذ يوغر صدور المسؤولين في حكومة شرقي الأردن ويتخذ من هذا الموقف دليلاً على نوايا مصر إزاء جارتها العربية. قرر أحمد عبد العزيز تخفيف القوات التي تركها في العوجة والعسلوج وبئر السبع وسحب معظمها إلى الخليل وبيت لحم حيث أخذ ينظم خطط الدفاع عن المدينتين متخذاً مقر قيادته في خندف (وندسور) في أحد أحياء مدينة (بيت لحم) الساحرة.

الدفاع عن بيت لحم

كنت التقي ببعض رؤساء الطوائف المسيحية واسألهم عن نظرتهم للإخوان وحركتهم، وكانت نفسي ترتاح كثيراً حين استمع إلى إجاباتهم وكلها مزيج من الحب والاطمئنان، وكيف لا تكون كذلك وهم يرون

بأعينهم مقدار الجهود التي يبذلها الإخوان دفاعاً عن عرب فلسطين لا يفرقون في ذلك بين عربي ومسيحي، ولقد ظل الإخوان في مدينتهم عاماً كاملاً دون أن تقع حادثة واحدة من تلك الحوادث التي تقع عادة بين الجنود والمدنيين من أهل البلاد.

كان الجيش العربي الأردني يحتل مدينة «بيت لحم» قبل دخول أحمد عبد العزيز، وكان يتخذ مقر قيادته في (مار الياس) الواقع شمالي المدينة، وكان هذا الجيش مشتبكاً مع مستعمرة (رامات راحيل) الواقعة على طريق بيت لحم ـ القدس، غير أنه لم يتمكن من اقتحامها وبقيت (رامات راحيل) كما كانت دائماً مصدر خطر كبير.

فهي تقع على ربوة عالية، وتتحكم في الطريق الرئيسي الذي يصل بيت لحم بالقدس. فوق أن المدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء حركاتها وسكناتها، لذلك كله نرى أحمد عبد العزيز يتجه إلى اقتحامها منذ أن هبط أرض المدينة.

ولقد بدأ في ٢٤ مايو فأرسل قوة من جنود الإخوان بقيادة (لبيب الترجمان) لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير وافٍ عن تحصيناتها، وقامت الدورية بعملها خير قيام ونجحت في التسلل إلى مكان قريب من المستعمرة حيث أخذت تراقب تحصيناتها، ومواقع الدفاع عنها، وظلت في موضعها يوماً كاملاً حتى فطن اليهود لوجودها وأخذوا يطلقون عليها النار من قمم الأبراج، واشتبكت معها الدورية غير أن قائدها أمر بالانسحاب إذ كان هدفه هو «الاستكشاف» فحسب وليس الدخول في معركة مباشرة. وحين وصل إلى بيت لحم عكف على كتابة تقريره وضمنه ما وصل إليه من معلومات عن المستعمرة ونقاط القوة والضعف في الدفاع عنها وقدمه إلى أحمد عبد العزيز الذي جعله أساساً لخطته المقبلة.

كانت الخطة الجديدة لا تختلف كثيراً عن الخطة التي اتبعت في (كفار ديروم) إذ تقرر أن تبدأ المدفعية بقصف الحصون والأبراج ثم يزحف المشاة تحت غلالة من نيران مدفعية (الهاون) وقنابلها الدخانية، ثم تتقدم جماعات الفدائيين من حملة ألغام (البنجالور) لنسف العوائق السلكية وحقول الألغام.

غير أن هذه الخطة نجحت في إحتلال (رامات راحيل) وكان سر نجاحها أن الأرض المحيطة بالمستعمرة كانت جبلية مليئة بالمنحنيات والفجوات، حين كانت الأرض المحيطة بكفار ديروم سهلاً منبسطاً يمتد إلى مسافات شاسعة.

وفي مساء يوم ٢٦ مايو كان كل شيء هادئاً حول مستعمرة (رامات راحيل) وكان جنود (الهاجاناه) فيها ينامون ملء أجفانهم مطمئنين إلى حصونهم القوية، حتى انتصف الليل ـ أو كاد ـ وبدأت أشباح كثيرة تنطلق في مركز رئاسة أحمد عبد العزيز حيث يبتلعها الظلام الكثيف، ثم تلتقي في سكون في مناطق مختلفة في الجبال المحيطة بالمستعمرة، ثم انطلقت إشارة ضوئية زحف بعدها المجاهدون ثم توقفوا عند نقط معينة تحددت في الخطط المرسومة.

وعندما دقت ساعة الكنيسة الكبيرة دقتين بعد منتصف الليل ارتجت الأرض تحت دوي المدافع، وتمزقت حجب الليل المظلم من وهج القنابل المحرقة التي انقضت كالشهب على المستعمرة الساكنة. ولم تمض إلا دقائق حتى شبت الحرائق في اكشاكها الخشبية وتفجرت حقول الألغام التي لف بها العدو مستعمرته، ثم سكتت المدافع، وأصدر (لبيب الترجمان) أوامره لقوته فبدأت تزحف تحت غلالة كثيفة من قنابل الهاون المتفجرة وقنابل الدخان، وفي لمح البصر اندفع الفدائيون يفجرون

الغامهم تحت الأسلاك الشائكة، ومن ورائهم فصائل الاقتحام تعبر مسرعة لتحتل الأغراض التي خصصت لها.

ويدأ الاشتباك الرهيب عند الخنادق «والدشم» واستمات اليهود في الدفاع عن مستعمرتهم، ولم يضيع الإخوان الوقت فتسلل نفر منهم إلى الأبراج العالية يفجرون تحتها الألغام ويحيلونها أنقاضاً وركاماً، وأثرت هذه الإنفجارات المفاجئة تأثيراً سيئاً في نفوس المدافعين عن المستعمرة، وأسقط في أيديهم، فبدأوا يجلون عبر ممراتهم السرية إلى مستعمرة (تل بيوت) على مقربة من القدس الجديدة.

وعكف المجاهدون على الخنادق يتمون تطهيرها وحين كان آخر يهودي يغادر المستعمرة هارباً، كان صوت المؤذن يتهادى مع النسيم من أعلى قمة فوق أعلى برج ـ الله أكبر... الله أكبر... اشهد أن لا إله إلا الله! أشهد أن محمداً رسول الله.

سقطت المستعمرة أمام هذه الخطة وأخذ الإخوان يجوسون خلال أبنيتها وأبراجها فرأوا ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة، إذ كانت هذه المستعمرة هي مركز التموين الذي يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة في جنوبي القدس.

وكان عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة كبيراً للغاية إذ وجدت تحت الردم ما يزيد على المائتين، عدا ما نجح اليهود في أخذه معهم عند إنسحابهم، أما خسائر الإخوان فلم تتجاوز تسعة من الشهداء والجرحى وشهيداً واحداً من قوة الإخوان الأردنيين، التي كانت ترابط في (صور باهر) بقيادة المجاهد (عبد اللطيف أبو قورة) رئيس الإخوان في عمان.

لم يكن انسحاب اليهود نهائياً من المستعمرة إذ كانوا يبيتون النية لاستردادها وطرد الإخوان منها، فصعدت طائراتهم في اليوم التالي

تستكشف الحالة فيها فلم تجد إلا عدداً قليلاً من المجاهدين، وكان الخطأ الذي يؤخذ على قيادة المتطوعين أنه لم تعزز الإنتصار الذي أحرزته.

ولم توضع الخطة السليمة للمحافظة على المستعمرة، وكان عذر أحمد عبد العزيز في هذا الخطأ أن قوته الصغيرة كانت موزعة في خط طويل يمتد من (العوجة) إلى (بيت لحم) وأن أسلحته وذخائره كانت قليلة تافهة ولقد طالب مراراً بتزويده بالسلاح والذخيرة، غير أن «المواوي» رفض إمداده بها وسبب ذلك ـ كما سمعته من ضباط هذه القوة ـ أن أحمد عبد العزيز تخطى أوامره وتجاوز الحدود التي رسمها له!

وفي اليوم التالي تجمعت قوات يهودية كبيرة من القدس الجديدة ومستعمرات (تل بيوت) و (أرنونة) فطالب الإخوان بتعزيز القوة وإرسال عدد آخر يشترك معهم في الدفاع عن المستعمرة.

لكن القيادة قلبت كفها محتجة بعدم وجود قوات لديها، حتى يوم ٢٨ مايو إذ حسم اليهود المعركة فأغاروا بقوات كبيرة قدرت بخمسة آلاف، تؤيدها المدفعية والعربات المدرعة، واستبسلت القوة الصغيرة من الإخوان في الدفاع على أمل أن تنجدهم القيادة بالقوات اللازمة، وطال بهم الانتظار زمناً طويلاً دون جدوى فقرروا الانسحاب بعد أن دمروها تدميراً تاماً ولم يتركوا فيها بقعة واحدة تصلح للإيواء.

حاصر الإخوان المستعمرة وما جاورها، وتولوا الدفاع عن قرية (صور باهر) العربية. ولقد حدث في أوائل شهر يونيو أن حلقت طائرة يهودية تحمل أسلحة وذخائر. وأرادت إلقاءها على (رامات راحيل) وكان الوقت ليلاً، ورأى الإخوان أن المستعمرة تطلق إشارات حمراء لتدل الطائرة على موضعها، فما كان منهم إلا أن أطلقوا إشارات حمراء

مشابهة، فاختلط الأمر على الطائرة وألقت حمولتها فوق (صور باهر) وكانت صناديق ضخمة مليئة باجزاء المدافع وأنواع الرشاشات الحديثة والأدوية الثمينة.

أراد اليهود تعزيز النصر الذي أحرزوه في ختام معركة (رامات راحيل) فأرسلوا قوة من جنودهم هاجمت الجيش العربي الأردني في مقر قيادته في (دير مار الياس) واضطرته لإخلائه، وكان هذا الدير يقع على مقربة من (صور باهر) حيث ترابط فصائل من الإخوان فوق أن احتلاله باليهود كان يؤثر تأثيراً بعيداً في موقف القوات المرابطة في (بيت لحم)، فلم يجد الإخوان بداً من معاودة احتلاله، وتقدمت قوة منهم بقيادة المجاهد «حسين حجازي» تعاونه قوة فلسطينية من جيش الجهاد المقدس يقودها المجاهد العربي جاد الله وهاجمت اليهود على غرة واضطرتهم للانسحاب موقعة بهم كثيراً من الخسائر.

وكان هذا النجاح حافزاً على القيام بحركة جديدة، ذلك أن مستعمرة (تل بيوت) دأبت على إطلاق النيران من برجها الضخم وتسبب عن ذلك كثير من الخسائر والأضرار مما اضطر أحمد عبد العزيز إلى إصدار أوامره للأخ المجاهد (حسين حجازي) ليتولى تدمير هذا البرج الخطر.

وفي ليلة ٤ يونيو انطلقت جماعة من بيت لحم وأحيط انطلاقهم بتكتم كبير، حتى أن زملاءهم في القوة لم يعلموا حقيقة المهمة التي سيقومون بها، حتى لمعت برقة خاطفة أضاءت صفحة السماء وأعقبها إنفجار هائل أرتجت له أركان المدينة، وشاهد الناس أحجار البرج الضخم تتناثر في الهواء ثم تتهاوى لتصنع من تراكمها قبراً كبيرةً يضم نخبة من رجال الهاجاناه.

ولقد علقت جريدة (أخبار اليوم) في عددها الصادر في ٥ يونيو تصف هذه العملية الجريئة فقالت بعد كلام طويل«وفي الليل تسلل (حسين) ومعه أربعة جنود... وزحفوا على الأشواك في صور باهر أربعة كيلومترات تحت تهديد الرصاصِ الطائر في الهواء والحيات الزاحفة بين الأحجار.

وقرب الفجر سمعت بيت لحم إنفجاراً مدوياً وتهدمت ثلاثة حصون من (تل بيوت).

وفي الصباح عاد (حسين حجازي) ليتلقى تهنئة قائده... ومعها لقب بطل (تل بيوت)! »

وبينما كان المجاهدون يوجهون ضربات مركزة في كثير من المناطق ويعدون أنفسهم للوثوب على القدس الجديدة إذا بالدول تقبل الهدنة الأولى، وتصدر أوامرها لجيشها بوقف إطلاق النار لمدة أربعة أسابيع تبدأ من ١١ يونيو سنة ١٩٤٨. ولم تكن الهدنة في حقيقتها إلا أسلوباً جديداً ابتكرته هيئة الأمم لمساعدة اليهود وتمكينهم من جلب الأسلحة الثقيلة والذخائر، ولقد كان قبولها من جانب العرب إقراراً بالأمر الواقع واعترافاً فعلياً بقيام إسرائيل.

ولم تقف فائدة الهدنة لليهود عند حد جلب السلاح والعتاد فحسب، ولكنها أيضاً كانت وسيلة لإحتلال المواقع الهامة، إذ أن أغلب المراكز الخطيرة لم يستطع اليهود احتلالها إلا بهجمات غادرة قاموا بها خلال الهدنة، وكانت الحجة دائماً عند هيئة الأمم وعند حكومة إسرائيل، أن أصحاب هذه الحركات الغادرة ليسوا إلا عصابات فوضوية متطرفة.

وكانت الدول العربية تصدق هذا الزعم، وتشفق على هيبتها وكرامتها أن تجاري عصابات فوضوية، وهي الدول المحترمة ذات المركز

والسلطان وعن هذا الطريق الوضيع أحتل اليهود أغلب المناطق التي وقعت في أيديهم. ولقد نجح الإخوان في تكبيل المستعمرات اليهودية حول «بئر السبع» عن طريق الدوريات الكثيرة التي كانوا يبعثون بها، وعن طريق المواقع الحاكمة التي احتلوها على طرق المواصلات. فحاول اليهود اغتنام الهدنة ـ كعادتهم دائماً ـ وهاجموا قرية (العسلوج) حيث كانت ترابط قوة صغيرة يقودها اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف).

ولم تصمد القوة الصغيرة طويلاً، أمام هذا الهجوم المباغت فتسرب أفرادها إلى الصحراء مذعورين، حين رأوا أنفسهم أمام قوات كبيرة من العدو تؤيدها حشود من المدرعات والمدفعية، ومما يذكر في هذه المعركة، أن ثلاثة من الإخوان هم المجاهدون رشاد زكي ومحمود حامد ماهر وعبد الله البتانوني من إخوان القاهرة، كان القائد وكل إليهم مهمة حراسة مخازن الذخيرة، وكانت المخازن مليئة بالأسلحة والذخائر ـ إذ كانت هذه القرية هي مستودع الذخيرة الذي يمون المنطقة ـ وأفاق المجاهدون على أنفسهم فوجدوا العدو في داخل المواقع، وسمعوه يحاول احتلال المخازن فأخذوا يتدبرون موقفهم. إنها كارثة كبرى أن يضع العدو يده على هذا السلاح الكثير في وقت يحتاج فيه إلى طلقة الذخيرة الواحدة. لا بد من عمل شيء ما، ولم يدم تفكيرهم كثيراً إذ قرروا نسف المخازن حين يدخلها العدو، واختبأوا خلف كومة من الصناديق حتى امتلأ المخزن بالجنود اليهود، ثم أشعلوا النار في صناديق المفرقعات. وفي لحظة واحدة استحال البناء الضخم إلى كومة من الإنقاض، ومات الأبطال الثلاثة بعد أن ثأروا لأنفسهم وجروا العدو الغادر إلى كارثة مدمرة.

كان احتلال هذا الموقع يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجبهة الشرقية، مما دعا القيادة العامة إلى تنظيم خطة لاسترداده، وفي

اليوم التالي تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامي تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت في الاقتراب من القرية، لاستماتة العدو في الدفاع عنها.

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشي أحمد عبد العزيز الذي وكل الأمر لليوزباشي محمود عبده قائد الإخوان في «صور باهر» ليتولى إرسال قوة من رجاله تسترد هذه المواقع، وأترك وصف النتيجة لسعادة اللواء أحمد محمد علي المواوي (بك) القائد العام للقوات وهي مقتبسة من شهادة أدلى بها بين يدي القضاء في إحدى قضايا الإخوان المسلمين التي عرفت باسم (قضية سيارة الجيب).

وكانت إجابته رداً على سؤال وجهه إليه الدفاع في القضية المذكورة.

ـ هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلوج؟

ـ نعم. العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقي واستولى عليها اليهود في أول يوم الهدنة، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد، حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إلي إشارة هامة يقول فيها (لا بد من استرجاع العسلوج بأي ثمن) فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبد العزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة، ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

ولما سأله المحامون عن السبب في تغلب القوة الصغيرة أجاب: ـ

القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنويه بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئاً، لا بد من وجود الروح المعنوية، وهكذا تحررت (عسلوج) وكان تحريرها على يد قوة من الإخوان بقيادة ضابط ملازم، هو الأخ المجاهد «يحيى عبد الحليم» من إخوان القاهرة.

ورغم هذا النجاح الباهر الذي أحرزه الإخوان، وعظم الخسائر التي مني بها العدو، كانت خسائرها صغيرة جداً لا تتجاوز عدداً من الجرحى من بينهم قائد القوة المهاجمة المجاهد (عبد الحليم).

بدأ أحمد عبد العزيز خلال الهدنة يجمع قواته المبعثرة ويحشدها في (بيت لحم)، ويبدو أن القيادة العامة المصرية رضخت للأمر الواقع فأمدته ببعض الأسلحة والذخيرة وزودته بعدد من الجنود، فأخذ يحصن نفسه داخل المدينة، وأقام خطاً دفاعياً حولها يمتد من (صور باهر) إلى (كرمزان) ماراً بقرى (مار الياس) و (بيت صفافا) و (شرفات) و (الولجة)، إلى جانب ما أثبته الإخوان من بطولة ومقدرة في الأعمال الهجومية، فإن مقدرتهم على الدفاع والتحصين كانت مثار إعجاب الضباط والمراقبين، وكانت مواقع (صور باهر) الحصينة وما أقيم بها من خنادق (ودشم) نحتت ببراعة في الأرض الصخرية الصلبة، تشهد بعظم الجهد الذي بذله الإخوان لتحصين هذه القرية العربية، والاحتفاظ بها حتى آخر مراحل القتال رغم الهجمات المتوالية التي شنها العدو، وحاول فيها احتلالها ليضع القوات المرابطة في بيت لحم والخليل كلها تحت رحمته.

وكانت أولى المحاولات التي قام بها العدو هي إقدامه على محاولة

احتلال مرتفعات (جبل المكبر) في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨.

يقع جبل المكبر إلى الجنوب الشرقي من القدس القديمة، وهو مرتفع منيع يستطيع من يحتله أن يهيمن على القدس كلها، ويقطع الطريق الرئيسي الذي يصلها بعمان فوق أنه يتحكم في القوات المتطوعة التي ترابط في جنوب القدس، وكان هذا المرتفع إحدى حلقات الدفاع التي يتولاها الإخوان المسلمون المرابطون في قرية (صور باهر).

ولقد كان اليهود يؤملون في مهاجمة الإخوان على غرة، فبدأت جموعهم تتحرك في الساعة الثامنة من مساء ١٨ أغسطس من أحياء القدس اليهودية ومن المستعمرات الواقعة في جنوبيها، ثم بدأوا يزحفون في سكون وهدوء غير أن نقط المراقبة الأمامية فطنت لهذه الحركة وأرسلت تخبر قائد (صور باهر) بهذا النبأ وتطلب توجيهاته السريعة، وبدأ (محمود عبده) يفكر في الموقف ويضع خطته على أساس الأنباء التي تصل إليه تباعاً، ولم يكن يعنيه وقف الزحف اليهودي والاحتفاظ بالموقع، ولكنه كان يريد إبادة هذه القوات وتلقين اليهود درساً قاسياً يحفظونه عن الإخوان وشدتهم في القتال.

وحين بدأ يتحرك بقوته من (صور باهر) كانت عواصف الرصاص تثور في قمة الجبل وكان التليفون يخبره أن طلائع العدو قد اشتبكت مع مواقع الإخوان الأمامية.

وما أن وصل حتى كانت المعركة في أعنف مراحلها، وكان واضحاً أن العدو يستميت في احتلال هذا الموقع ويقذف كتلاً هائلة من قواته لتحقيق الغرض في أقصر وقت ممكن، وكلما تكسرت موجة تحت أقدام الأبطال المؤمنين تدفقت في أثرها موجة أخرى.

ولا عجب في ذلك فقد كان طريق الإمداد مفتوحاً على مصراعيه،

والقدس اليهودية وفيها عشرات الألوف على مرمى حجر من أرض المعركة. فصمم (محمود عبده) على التصرف السريع وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها أن أمر فصيلة من جنوده فدارت إلى اليمين واقتربت من الطريق الذي يستخدمه العدو في تحركاته وأخذت تطلق النار على القوافل التي تتحرك صوب المعركة، وفي نفس اللحظة كان يصدر أمره للمدافعين عن الجبل بالانسحاب إلى الوراء فظن العدو أن المقاومة قد انتهت، فتقدم ليحتل المواقع التي أخلاها المجاهدون وفي نفس الوقت كانت أفواه المدافع تنفتح من كل صوب وتقذف كتلاً من اللهب على قمة الجبل، ولم يكن لليهود ما يحتمون فيه، فقتل منهم عدد كبير، فبدأوا يتراجعون في ذعر وارتباك.

تقدمت بعد ذلك قوات من المشاة وحاصرت قمة الجبل، واشتبكت مع العدو في قتال عنيف، وحاول اليهود التراجع إلى القدس بعدما يئسوا من وصول النجدات المطلوبة، ولكن القوة الخلفية فاجأتهم بالنيران الحامية. وبينما كانت المعركة تسير على هذا النحو المرسوم إذ أصيب اليوزباشي (محمود عبده) بطلقات طائشة فحمله مرافقوه للخلف دون أن يفطن أحد، وبعثوا برسالة مستعجلة لقيادة بيت لحم يخبرونها فيها بإصابة القائد، ولم تمض إلا لحظات حتى جاء الأخ المجاهد (لبيب الترجمان) ليتولى قيادة المعركة في مرحلتها الختامية.

أخذ اليهود يتسللون فرادى إلى المنطقة الحرام ودار الحكومة حيث يوجد بعض مراقبي الهدنة ورجال هيئة الأمم وفطن الإخوان للأمر فتابعوهم إلى هناك، وضربوا حصاراً محكماً حول دار الحكومة وهددوا بتدميرهم، مما اضطر رجال هيئة الأمم إلى الإستغاثة بالبكباشي (أحمد عبد العزيز) الذي جاء لتوه، واستجاب لرغبة مراقبي الهدنة بوقف إطلاق النار، ولكنه أصر على أحتلال مرتفع يدعى (رأس الأحرش) يشرف على

دار الحكومة والحي اليهودي بالقدس. وبذلك أصبح الإخوان خطراً شديداً يهدد القدس الجديدة واتخذوا من هذا الموقع نقطة يراقبون منها حركات اليهود وسكناتهم.

وحاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم كبير على نفس هذه المواقع أملاً في احتلالها ورد اعتبارهم بعد هزيمة الأمس، ولكن يقظة الإخوان واستماتتهم في الدفاع وقفت سداً منيعاً دون وصولهم لهذه الغاية، مما اضطرهم إلى التراجع في ذلة وانكسار؛ وكانت خسائرهم في هذه المرحلة تتجاوز المائتين حسب تقدير مراقبي الهدنة عدا فقدانهم لجميع الأسلحة والمعدات التي دفعوا بها في هذه المعارك.

بدأت بعد هذه الفترة مرحلة مفاوضات طويلة لتخطيط حدود المنطقة الحرام وكان أحمد عبد العزيز فخوراً بجنود الإخوان وبما أحرزوه من انتصار رائع، مما جعله يملي إرادته على اليهود ويضطرهم للتخلي عن منطقة واسعة مهدداً باحتلالها بالقوة، وكانت المفاوضات تدور في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس ويحضرها الكولونيل (عبد الله التل) القائد العربي في المدينة المقدسة، وحين انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس أراد أحمد عبد العزيز أن يحمل نتائجها إلى القيادة المصرية العامة في (المجدل) وأصر على أن يذهب في ليلته، وكانت المعارك في ذلك الحين تدور بشدة على الطريق المؤدي للمجدل مما جعل ضباطه يلحون عليه في التريث وعدم الذهاب، ولكنه قطع هذه المحاولات حين قفز إلى سيارته (الجيب) وهو يردد: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا﴾ وانطلقت السيارة في طريق المجدل ولم يكن معه إلا اليوزباشي (الورداني) واليوزباشي (صلاح سالم) من ضباط رئاسة المواوي، وسائق سيارته.

وكانت «عراق المنشية» في ذلك الحين تستهدف لهجمات متواصلة مما دعا القيادة العامة إلى منع السير على هذا الطريق بالليل.

وما أن وصلت السيارة إلى مواقع عراق المنشية حتى صاح الحارس يأمر، السيارة القادمة بالوقوف، ولكن سوء الحظ تدخل هذه المرة، إذ ضاع صوت الحارس في ضجيج السيارة فأطلقت نقطة المراقبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشي (أحمد عبد العزيز) في جنبه، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة (الفالوجا) ولكن قضاء الله سبقهم إليه، فصعدت روحه إلى بارئها.

ولم يكد الخبر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجميع، وبكاه كل فرد في الجيش، وكان أكثر الناس حزناً عليه وألماً لفراقه أولئك الجنود الذين زاملوه في الميدان وقاسموه مرارة الهزيمة ونشوة النصر، ونعته وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة العالمية وأسف لفقده الحلفاء والاعداء، ونعوه للناس بمزيد الإعجاب والإكبار، وبموت أحمد عبد العزيز طويت صفحة من أمجد صفحاتنا العسكرية، وأفل نجم لامع كان في سمع الناس وبصرهم، وخلا بذلك مكانه في الميدان، وصعدت روحه الطاهرة لتحتل مكاناً مرموقاً في ملكوت الله وجنته ورفع اسمه من كشوف الجيش المصري ليحفظ في سجل التاريخ، كأبرز شخصية عسكرية أنجبته حرب فلسطين.

مات أحمد عبد العزيز فعينت القيادة العامة ضابطاً جديداً لقيادة (بيت لحم) هو البكباشي «محمد فكري» من سلاح المدفعية لكنه عاد بعد أيام قلائل، حين لم يستطع التفاهم مع ضابط المتطوعين، فرأت القيادة أن تبعث البكباشي «عبد الجواد طبالة» قائد كتيبة المتطوعين الثانية. والتي كانت تتولى محاصرة المستعمرات وحراسة بعض النقط على خطوط

المواصلات.

ولقد أتمت هذه الكتيبة تدريبها في معسكر (الهاكستب) بعد سفر الكتيبة الأولى، وكانت هذه الكتيبة تحوي عناصر طيبة من الإخوان كان على رأسهم الأخ المجاهد (صلاح البنا) الذي كان له أبعد الأثر في تنظيمها وتدريبها، وكان مقرراً لهذه الكتيبة أن تحتل مدينة (بئر السبع) وتدافع عنها غير أن قائدها أشار باستحالة تنفيذ ذلك، لنقص مرتبها في الأسلحة، وخلوها تماماً من مدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات وأخيراً أستقر الرأي على أن تحاصر بعض المستعمرات الواقعة في منطقة غزة ـ رفح فأبلت في القيام بهذا الدور أحسن البلاء.

وظلت على هذا الوضع حتى موت أحمد عبد العزيز وحين استدعت الحالة ذهاب قائدها لتولي القيادة في (بيت لحم) تقرر انتقالها للانضمام لزميلتها (الأولى)، وتكونت من الكتيبتين وممن انضم إليهما من جماعات المناضلين والسودانيين والليبيين القوة التي عرفت باسم (القوة الخفيفة) والتي كان لها الفضل في المحافظة على منطقة الخليل وبيت لحم وتسليمها لقوات شرق الأردن بعد نهاية الحرب وإعلان الهدنة.

وصل القائد الجديد وافتتح نشاطه بالمرور على خطوط الدفاع. وكانت الحالة في المنطقة هادئة نسبياً إلى أن نقض اليهود الهدنة بعد أيام قلائل فاحتلوا منزلاً قريباً يقع في الشقة الحرام واتخذوا منه وكراً خطيراً للقناصة يستعيضون به عن البرج الذي نسفه الإخوان في (تل بيوت). وأخذوا يطلقون منه النار على المجاهدين في مواقعهم، وحاولوا اقتناص قائد المنطقة نفسه حين كان يحاول الوصول إلى دار الحكومة للاجتماع بمراقبي الهدنة، وكانت أنباء تشير إلى أن لجنة من كبار ضباط الجيش الإسرائيلي قد نزلت في هذا البناء واتخذته مقراً تشرف منه على جبهات

المتطوعين وتضع خطة لمعارك شاملة تكتسح فيها هذه القوات.

لم يكن هناك بد من تدمير هذا البناء فصدرت الأوامر لقائد الإخوان في (صور باهر) ليتولى تنظيم هذه الخطة وتنفيذها، وفي ليلة حالكة الظلام تسللت جماعة من الإخوان تحمل ألغامها وأسلحتها ووجهتها هذا المنزل المقام بين ثلاثة مستعمرات من أخطر مستعمرات اليهود واستمروا يزحفون على بطونهم وقتاً طويلاً حتى اقتربوا منه، وبينما كانوا يعالجون فتح الباب الخارجي انتبه اليهود للحركة، فأخذوا يطلقون عليهم النار من أعلى المنزل ومن (الدشم) المسلحة المقامة حوله، وبادلهم الإخوان الضرب، غير أن شدة النيران المنبعثه من المنزل وخشية الإخوان من المستعمرات القريبة، جعلتهم يلقون ألغامهم بعيداً عن البناء يشغلونه، وحين انفجرت أحدثت دوياً هائلاً، غير أن البناء ظل قائماً كما كان وجرح في هذه الحركة الأخ (عثمان عبد المجيد)، وحمله رفاقه معهم إلى معسكرهم في (صور باهر). وثار قائد (صور باهر) على هذا الفشل، وأصر على تدمير البناء، وفي اليوم التالي تحركت قوة كبيرة مكونة من بعض الإخوان السوريين، وعدد من مجاهدي الإخوان الأردنيين، وقد اشتبكت هذه القوة في معركة مع حماة البناء، غير أنها نجحت في الوصول إلى المنزل وتدميره على جميع من فيه من الضباط والجنود وأترك للبكباشي (طبالة) قائده القوة الخفيفة الكلام عن هذه العملية الجريئة في مقال نشرته له إحدى المجلات العسكرية تحت عنوان (ولاء في بطولة).

عالج قائد الدورية الباب معتمداً على أن صوت الرصاص يعلو صوت معالجة الباب، ولكن الباب لم يفتح فهو موصود من الداخل، وإذا بالقائد يضغط بسبابة يمناه (تنك) سلاحه فيطير قفل الباب ويفتح على مصراعيه، وفي لحظات أشعل الآخرون العبوات وألقوا بها داخل الدار

وارتد الجميع للخلف قليلاً ورقدوا إلى أن صم آذانهم صوت انفجار هائل تطاير على أثره الغبار في كل مكان.

وإن هي إلا غمضة عين فتسمع أنة موجعة صادرة من أحدهم فهرع إليه القائد فوجد الذي ينزف من جرح في رأسه. فحمله بمعاونة زملائه وهرعوا عائدين وكل منهم يتلفت للخلف ليروا أثر ما عملوا فلا يروا إلا غباراً يعلو الأرض، إلى أن وصلوا حوالي الرابعة صباحاً إلى رئاسة القطاع، وبين يدهم زميلهم الجريح يحتضر لكثرة ما نزف من الدماء. ولم تجد معه الأسعافات فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يتساءل عما حل بالمنزل فلما علم بتدميره تماماً لفظ النفس الأخير والارتياح التام بادٍ على أساريره.

وفي الصباح الباكر كان قائد الفدائيين يستقبل ضوء الشمس في مواقع «صور باهر» ويترحم على الشهيد البطل ويودعه إلى مثواه الأخير ثم عاد ليلقي نظرة على موقع المنزل فإذا هو حطام يضم بين أحجاره جثث عشرين من اليهود الغادرين، حاولوا الاعتداء عليه في الصباح فحكم عليهم جنوده (أن لا يروا ضوء صباح تال). أما شهيدنا المبرور في هذه المعركة فهو المجاهد (ضيف الله) من الإخوان المسلمين السوريين. وفي المساء كانت محطة إسرائيل تذيع نبأ المعركة، تنعي إلى اليهود مقتل ضابط إسرائيلي برتبة كبيرة ومعه عدد من ضباط الجيش وجنوده. ماتوا تحت الردم على مقربة من مواقع الإخوان المسلمين في (صور باهر).

في منتصف شهر أكتوبر كانت الجبهة المصرية مسرحاً لعمليات واسعة النطاق، وكانت منطقة (الفالوجا) في ذلك الوقت تهاجم بعنف وشدة، والمجدل عرضة لغارات جوية مروعة، وفي ذلك الوقت أيضاً كانت القيادة الإسرائيلية في القدس تحاول تصفية حسابها مع قوات

المتطوعين في «بيت لحم» وبدأت أعمالها بهجوم حاد على (صور باهر) غير أن هجماتها المتكررة تكسرت تحت تحصينات الإخوان القوية.

فأخذت تدور حول خطوط الدفاع تتلمس أضعف النقط فيها حتى نجحت يوم ١٩ اكتوبر في اقتحام مرتفع شاهق يعرف بتبة (اليمن)، ولم يضيع اليهود الفرص فأخذوا يحشدون قوات كبيرة ويعدون أنفسهم للوثوب على المرتفعات المجاورة والسيطرة على بيت لحم، مما اضطر قيادة (صور باهر) إلى إرسال قوة كبيرة لتقوم بهجوم مضاد تستعيد به هذا المرتفع. وبدأت المعركة بين الفريقين حامية شديدة، وكان مما يستلفت النظر ويدعو للإعجاب هو براعة اليهود وسرعتهم الفائقة في أعمال التحصين، لا تكاد قواتهم تستقر في موقع من المواقع إلا وتسارع بتحويله إلى قلعة محصنة.

وكان ذلك مما يساعدهم دائماً على الاحتفاظ بالمواقع التي تسقط في أيديهم، ويبدو أن هذه الظاهرة ناتجة عما عرف عن المقاتل اليهودي من جبن وضعف، فهو يستعيض عن الشجاعة الأصلية بتحصينات مصطنعة ولا يقوى على مواجهة خصمه في الدفاع إلا إذا كان مختفياً خلف أطباق كثيفة من (الدشم) والأسلاك الشائكة.

نجح الإخوان في الهجوم الذي شنوه وتراجع اليهود بعد مقاومة شديدة وخسائر من الطرفين، وكان يضاعف من هذا النجاح أهمية الموقع وخطورته الشديدة لو بقي في يد اليهود، وهأنذا أنقل نص إشارة رسمية بعثتها قيادة «بيت لحم» إلى الجهات العسكرية المسؤولة بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٩٤٩.

(قام العدو بهجوم عنيف على جميع مواقعنا الدفاعية تحت ستار غلالة شديدة من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية والهاونات وقاذفات الألغام

والمدفعية الثقيلة، صدت قواتنا الهجوم، تمكن العدو من الاستيلاء على مواقعنا بجبل (اليمن)، قامت قوة من الإخوان المسلمين بقيادة الملازم أول خالد فوزي بهجوم مضاد فطردت العدو بعد أن كبدته خسائر فادحة، (خسائرنا ضعيفة وقد أبلغنا مراقبي الهدنة).

وقد علقت أغلب الجرائد العربية واليهودية على هذه المعركة وذكرت جهود الإخوان فيها بالإكبار والإعجاب، وكتبت جريدة (الناس) العراقية في عددها الصادر يوم ١١/٧ مقالاً تحت عنوان (بسالة متطوعة الإخوان المسلمين) جاء فيه (... وإن اليومين الماضيين امتازا ببسالة منقطعة النظير من متطوعة الإخوان المسلمين فقد استولى اليهود شمالي غربي بيت لحم بعد محاولات عديدة على جبل مرتفع يسمى «تبة اليمن» ويشرف على قرى «الولجة» و «عين كارم» و «المالحة» وما جاورها وأصبحوا يهددون كل المناطق المحيطة بها.

ورأت قيادة الجيش المصري ضرورة تطهيرها فندبت لذلك عدداً من متطوعة الإخوان المسلمين في (صور باهر)، فتقدمت سرية منهم، ولم تمر ساعة حتى كانت هذه الفرقة قد أجهزت على القوة اليهودية وغنمت ذخيرتها ومتاعها وحررت قرية «الولجة» وأصبحت تسيطر على منطقة واسعة وقد أصدرت قيادة الجيش المصري أمراً بتسمية الجبل (تبة الإخوان المسلمين) وقد استشهد من الإخوان كل من مكاوي سليم علي من الزقازيق والسيد محمد قارون من المنصورة وإبراهيم عبد الجواد من الفيوم، رحمهم الله رحمة واسعة).

يئس العدو من إقتحام «بيت لحم» و «الخليل» لوجود هذه القوات المؤمنة فيها، فبدأ يركز هجومه على مناطق «أسدود» و «المجدل». واستطاع أن يرغم القوات المصرية على إجلاء هاتين المنطقتين والإيقاع